من أعلام المجددين

١ - الإمام أحمد بن حنبل
٢- الإمام ابن تيمية
٣- الإمام محمد بن عبد الوهاب
رحم الله الجميع

ويليه

رد أوهام أبي زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية
وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله

بقلم فضيلة الشيخ

الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

طبع ونشر

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية
الرياض - المملكة العربية السعودية

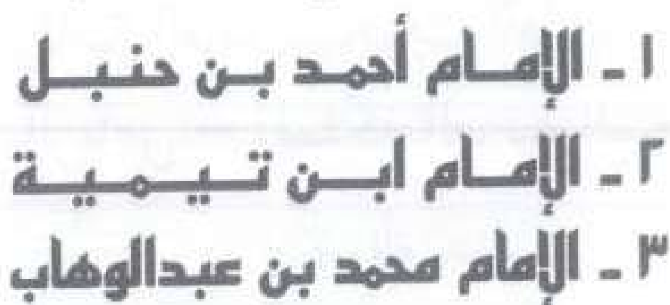
وقف لله تعالى

الطبعة الثالثة
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م





من أعلام المجددين



١ - الإمام أحمد بن حنبل

٢ - الإمام ابن تيمية

٣ - الإمام محمد بن عبدالوهاب

رحم الله الجميع

ويليه

رد أوهام أبي زهرة في حق شيخ الإسلام ابن تيمية
وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله

بقلم

فضيلة الشيخ

الدكتور صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

طبع ونشر

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية
الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثالثة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الرياض – المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثالثة - ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفوزان، صالح بن فوزان
من أعلام المجددين./ صالح بن فوزان الفوزان- ط٣.-
الرياض، ١٤٣١هـ
١٨٦ ص؛ ١٢ × ١٧ سم
ردمك : ١ - ٤٩٤ - ١١ - ٩٩٦٠- ٩٧٨
١- ابن حنبل، أحمد بن محمد، ت ٢٤١هـ ٢- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، ت ٧٢٨هـ ٣- محمد بن عبدالوهاب بن سليمان، ت ١٢٠٦هـ أ- العنوان
ديوي ٩٢٢,٨٥٤ ١٤٣١/٢٤٤٠

رقم الإيداع : ٢٤٤٠ / ١٤٣١
ردمك : ١ - ٤٩٤ - ١١ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضَلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله عز وجل الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه.

فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ

بالله من فتن المضلين[١].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وبعد:

فمن المعلوم أنه كلما تأخر الزمان وبعد الناس عن آثار الرسالة ـ حدثت البدع والخرافات، وفشا الجهل، واشتدت غربة الدين، وظن الناس أن ما وجدوا عليه آباءهم هو الدين، وإن كان بعيداً عنه، ولكن الله سبحانه لا يخلي الأرض من قائم لله بحجة.

وقد أخبر الرسول ﷺ بأن طائفة من المسلمين لا تزال على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى، كما أخبر ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود، وصححه الحاكم وغيره، حيث قال: «إن الله

(١) هذه خطبة الإمام أحمد في كتاب [الرد على الجهمية والزنادقة] رأينا مناسبتها للموضوع فقدمناه بها. تحقيق وتعليق د/ عبدالرحمن عميرة، ص (٨٥) ـ توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط ١٤٠٤هـ ـ دار اللواء للنشر والتوزيع.

يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجَدِّدُ لها دينها»[(١)].

قال المناوي في [فيض القدير][(٢)]: («يبعث» أي: يقيض لها «على رأس كل مائة سنة» من الهجرة أو غيرها، والمراد: الرأس تقريباً، «مَنْ» أي: رجلاً أو أكثر، «يجدد لها دينها» أي: يبين السُنَّة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة، ويذلهم ـ قالوا: ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، قال ابن كثير: قد ادّعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر: أنه يعم جملة من العلماء من كل طائفة، وكل صنف: من مفسر، ومُحَدِّث، وفقيه، ونحوي، ولغوي وغيرهم) انتهى.

أقول: وفي زماننا منح لقب التجديد لكل جاهل مُدَّعٍ

---

(١) [سنن أبي داود]، تحقيق/ عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد (٤/ ٤٨٠) برقم (٤٢٩١) ط/ دار الحديث، حمص ـ سوريا.

(٢) [فيض القدير شرح الجامع الصغير] للمناوي (٢/ ٢٨١، ٢٨٢) ط/ عام ١٣٩١هـ ـ دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

يظهر على الناس بآراء شاذة، وأقوال جاهلة. وهذه مغالطة وتضليل، إنما المجدد في الحقيقة هو: العالم بشرع الله، المستقيم على سنة رسول الله ﷺ الذي يرد الناس إلى الهدى.

وقد وقع مصداق ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث، فلا يزال - والحمد لله - فضل الله على هذه الأمة يتوالى بظهور المجددين عند اشتداد الحاجة إليهم، ومن هؤلاء المجددين: الإمام أحمد بن حنبل في القرن الثالث، وشيخ الإسلام ابن تيمية في آخر القرن السابع وأول الثامن، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في القرن الثاني عشر.

وقد أحببت في هذه العجالة أن أُقَدِّم بعض المعلومات عن هؤلاء الأئمة، وما قاموا به من تجديد هذا الدين، مما لا تزال آثاره باقية في هذه الأمة ولله الحمد والمنة، والقصد من ذلك تعريف من يجهل مجهود هؤلاء الأئمة، والتنبيه للانتفاع بآثارهم والاقتداء بهم. والله الهادي إلى سواء السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: الإمام أحمد بن حنبل

١ ـ نسبه :

هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حَيَّان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذُهل بن ثعلبة بن عُكَابَة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[١].

٢ ـ نشأته وتعلمه:

قدم به أبوه من مرو وهو حَمْلٌ، فوضعته أمه ببغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة، وتوفي أبوه وهو

---

(١) [مناقب الإمام أحمد بن حنبل] لابن الجوزي، تحقيق د/ عبدالله التركي، ص (٣٨)، الناشر مكتبة الخانجي بمصر.

ابن ثلاث سنين فكفلته أمه... وقد كان في حداثته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث، وكان سنه ست عشرة سنة، ثم حج عدة مرات، وجاور بمكة مرتين، ثم سافر إلى عبدالرزاق في اليمن وكتب عنه، وقد طاف في البلاد والآفاق، وسمع من مشائخ العصر، وكانوا يجلونه ويحترمونه[١].

قال ابن الجوزي[٢]: ابتدأ أحمد رضي الله عنه في طلب العلم من شيوخ بغداد، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وكتب عن علماء كل بلد[٣].

ثم ذكر أسماء من لقي من كبار العلماء، وروى عنهم

---

(١) [البداية والنهاية] لابن كثير، تحقيق/ د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (١٤/ ٣٨١-٣٨٣) هجر للطباعة والنشر بمصر.

(٢) [مناقب الإمام أحمد] ص (٤٦)

(٣) المرجع السابق ص (٥٨).

مرتبين على حروف المعجم من الألف إلى الياء[١].

ثم ذكر من روى عنهم ممن عرف بكنيته ولم يتحقق عنده اسمه[٢].

ثم ذكر من روى عنهن من النساء[٣]، وقد ذكر خلقاً كثيراً من شيوخه.

٣ - غزارة علمه:

قال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد بن حنبل، فرأيت كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ماشاء، ويمسك ما شاء.

وقال أحمد بن سعيد الرازي[٤]: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعلم بفقهه ومعانيه من أبي عبدالله أحمد بن حنبل.

---

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص (٧٩).
(٢) المرجع السابق ص (٨٠)
(٣) المرجع نفسه، ص (٨٩).
(٤) المرجع نفسه، ص (٩٠).

وقال أبو عاصم[١]: ليس ثمة ببغداد إلا ذلك الرجل، يعني: أحمد بن حنبل ما جاءنا من ثم أحد مثله يحسن الفقه.

وقال الخلال[٢]: كان أحمد قد كَتَبَ كُتُبَ الرأي وحفظها ثم لم يلتفت إليها.

وكان إذا تكلم في الفقه تكلم كلام رجل قد انتقد العلوم، فتكلم عن معرفة.

وقال أبو زرعة[٣]: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث[٤]، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

وقال ابن الجوزي[٥]: وقد كان أحمد يذكر الجرح

---

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص(٩٠).

(٢) المرجع السابق، ص(٩١).

(٣) المرجع نفسه، ص(٨٥).

(٤) يعني: مليون حديث.

(٥) [المدخل] للشيخ عبدالقادر بن بدران الدمشقي، صححه وقدم له وعلق عليه/ د. =

والتعديل من حفظه إذا سئل عنه، كما يقرأ الفاتحة، ومن نظر في كتاب [العلل] لأبي بكر الخلال عرف ذلك، ولم يكن هذا لأحد من بقية الأئمة، وكذلك انفراده في علم النقل بفتاوى الصحابة، وقضاياهم، وإجماعهم، واختلافهم لا تنازع في ذلك، وأما علم العربية فقد قال أحمد: كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو الشيباني، وأما القياس فله من الاستنباط ما يطول شرحه.

قال الإمام ابن الجوزي[١]: واعلم أنا نظرنا في أدلة الشرع وأصول الفقه، وسبرنا أحوال الأعلام المجتهدين، فرأينا هذا الرجل ـ يعني: الإمام أحمد ـ أوفرهم حظاً من تلك العلوم، فإنه كان من الحافظين لكتاب الله عز وجل.

قال أبو بكر بن حمدان القطيعي[٢]: قرأت على عبدالله ابن أحمد بن حنبل، قال: لقنني أبي أحمد بن حنبل القرآن

= عبد الله التركي، ص (١٠٥) الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

(١) [المدخل] ص (١٠٤).

(٢) [مناقب الإمام أحمد بن حنبل] ص (٥٩٩، ٦٠٠).

كله باختياره، وقرأ ابن حنبل على يحيى بن آدم وعبيد بن الصباح، وإسماعيل بن جعفر، وغيرهم بإسنادهم.

وكان أحمد لا يميل شيئاً في القرآن، ويروي الحديث: (أنزل مفخماً ففخموه) وكان لا يدغم شيئاً في القرآن إلا (اتخذتم) وبابه، كأبي بكر، ويمد مداً متوسطاً، وكان رضي الله عنه من المصنفين في فنون العلم من التفسير والناسخ والمنسوخ والمقدم والمؤخر.. إلى غير ذلك. وأما النقل: فقد سلم الكل له انفراده فيه بما لم ينفرد به سواه من الأئمة من كثرة محفوظه منه، ومعرفة صَحيحه من سقيمه وفنون علومه، وقد ثبت أنه ليس في الأئمة الأعلام قبله من له حظ في الحديث كحظ مالك. ومن أراد معرفة مقام أحمد في ذلك من مقام مالك فلينظر فرق ما بين [المسند] و[الموطأ].

قال ابن بدران في كتاب [المدخل] (١) في ذكر مؤلفاته:

---

(١) [المدخل] ص (١٠٤).

(و[المسند] وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابنه عبدالله: احتفظ بهذا [المسند] فإنه سيكون للناس إماماً.. وقال عبدالله: قرأ علينا أبي [المسند] وما سمعه منه غيرنا، وقال لنا: هذا كتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث). انتهى.

وهذا يدل على غزارة علمه بالحديث، وتميزه فيه، وقوة نقده. وهكذا من يتعلم العلم من مصادره الأصيلة: كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ، وتتلمذ على حملته من جهابذة العلماء مع النية الصادقة والعمل به ـ فإنه حري أن يوفق لتحمل العلم النافع، ويكون إماماً في الدين، كما كان الإمام أحمد وغيره من أئمة الإسلام، وحملة الشريعة. فعسى أن يكون في هذا حافزاً لشباب المسلمين اليوم وقد توفرت لهم وسائل التعلم؛ ليهبوا لحمل هذا العلم الذي به عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، نرجو ذلك.

٤ ـ عمله وأخلاقه:

من المعلوم: أن العلم وسيلة للعمل ومصحح له، فالغاية المطلوبة هي العمل الصالح، والعلم وسيلة تلك الغاية، وفي الحكمة المأثورة: (علم بلا عمل كشجر بلا ثمر) والله تعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾[1].

والصحابة رضي الله عنهم يقول قائلهم: ما كنا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلم معانيهن والعمل بهن، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً، وكان سلفنا الصالح على هذه الصفة، ومنهم الإمام أحمد، فقد اتصف بالعلم الغزير والعمل الصالح والأخلاق الفاضلة.

ذكر ابن الجوزي في [صفة الصفوة][2] قال: وعن عبدالله بن أحمد قال: (كان أبي أصبر الناس على الوحدة،

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٢.

(٢) [صفة الصفوة] لابن الجوزي (٢/ ٣٤٨) الناشر، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، وانظر [مناقب الإمام أحمد] ص (٣٥٠).

لم يره أحد إلا في مسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق).

وعنه قال[١]: (كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط[٢] أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة. وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سُبْعاً؛ يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سَبْع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو.

وحج أبي خمس حجات، ثلاث حجج ماشياً، واثنتين راكباً، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهماً[٣].

وعنه قال[٤]: كنت أسمع أبي كثيراً يقول في دبر

---

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص (٣٥٧).

(٢) يعني: الأسواط التي ضربها بسبب امتناعه من القول بخلق القرآن في عهد المعتصم.

(٣) [مناقب الإمام أحمد] ص (٣٦٣).

(٤) المرجع السابق، ص (٣٦٥).

الصلاة: اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك صنه عن المسألة لغيرك).

وقال صالح بن أحمد بن حنبل[١]: ورد كتاب علي بن الجهم: أن أمير المؤمنين ـ يعني: المتوكل ـ قد وجه إليك يعقوب المعروف بقوصرة ومعه جائزة، ويأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو ترد المال، فيتسع القول لمن يبغضك، فلما كان من الغد ورد يعقوب، فدخل عليه فقال: يا أبا عبدالله، أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول: قد صح عندنا نقاء ساحتك، وقد أحببت أن آنس بقربك، وأن أتبرك بدعائك ـ وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك، وأخرج بدرة فيها صرة نحو من مائتي دينار، والباقي دراهم صحاح، فلم ينظر إليها، ثم شدها يعقوب، وقال له: أعود غداً حتى أنظر ما تعزم عليه، وقال له: يا أبا عبدالله، الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل

---

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص (٤٤٥، ٤٤٦).

البدع، وانصرف، فجئت بإِجَّانة خضراء، فكببتها على البَدْرَة، فلما كان عند المغرب قال: يا صالح، خذ هذا صَيِّره عندك، فصيرتها عند رأسي فوق البيت، فلما كان سحراً إذا هو ينادي: يا صالح، فقمت إليه، فقال: ما نمت ليلتي هذه، فقلت: لِمَ يا أَبَه؟! فجعل يبكي، وقال: سلمت من هؤلاء، حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم، قد عزمت على أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت، فقلت: ذاك إليك، فلما أصبح جاءه الحسن البزار والمشايخ، قال: جئني يا صالح بميزان، فقال: وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار. ثم قال: وجه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته، وإلى فلان، فلم يزل يفرقها كلها، ونفض الكيس، ونحن في حالةٍ اللهُ تعالى بها عليم، فجاء بني لي فقال: أعطني يا أبه درهماً، فنظر إليَّ، فأخرجت قطعة أعطيته، وكتب صاحب البريد أنه قد تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد تصدق بها، وعلم الناس أنه قد قبل منك، وما يصنع أحمد بالمال، وإنما قوته رغيف، فقال لي: صدقت يا علي.

وبهذه النقولات عن ابني الإمام، وقد عايشا أباهما معايشة خاصة ـ أكبر دليل على مدى صلاح الإمام أحمد وتقواه وزهده وورعه.

وأما تواضعه: فقد قال ابن الجوزي[1]: بلغني عن أبي الحسين بن المنادي، قال: سمعت جدي يقول: كان أحمد من أحيا الناس، وأكرمهم نفساً، وأحسنهم عشرة وأدباً، كثير الإطراق، معرضاً عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث، وذكر الصالحين والزهاد في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بَشَّ به، وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ تواضعاً شديداً، وكانوا

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص (٢٧٧).

يكرمونه ويعظمونه.

قال الخلال[١]: (وأخبرني محمد بن الحسين: أن أبا بكر المروذي حدثهم قال: كان أبو عبدالله لا يجهل، وإن جُهِل عليه احتمل وحلم، ويقول: يكفي الله، ولم يكن بالحقود ولا العجول، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة، فكانوا يجيئون إلى أبي عبدالله فلا يظهر لهم ميله مع عمه، ولا يغضب لعمه، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة، وكان كثير التواضع، يحب الفقراء، لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلسه، مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر، يقعد حيث انتهى به المجلس، وكان لا يمد قدمه في المجلس، ويكرم جليسه، وكان حسن الخلق، دائم البشر، لين الجانب، ليس بفظ، ولا غليظ،

---

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص (٢٨٠، ٢٨١).

وكان يحب في الله ويبغض في الله، وكان إذا أحب رجلاً أحب له ما يحب لنفسه، وكره له ما يكره لنفسه، ولم يمنعه حبه إياه أن يأخذ على يديه، ويكفه عن ظلم وإثم أو مكروه إن كان منه، وكان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر ـ سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله، وكان رجلاً فطناً. إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك، يغضب لله، ولا يغضب لنفسه، فلا ينتصر لها، فإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه، حتى كأنه ليس هو، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الجوار، يؤذى فيصبر، ويحتمل الأذى من الجار) انتهى.

هذه أخلاق الإمام أحمد: علم وعمل، وتواضع وصبر واحتمال، وجدير بمن تربى على الكتاب والسنة، وتتلمذ على العلماء العاملين، وخالط الصالحين ـ أن يكون كذلك، بخلاف من يتربى على نظريات الفلاسفة وأفكار

الغرب، فإنه سيتأثر بها ويتخلق بها، فيجب على المسلمين أن يوجهوا أولادهم إلى الكتاب والسنة، وأخلاق السلف الصالح؛ ليتربوا التربية الصحيحة. ويتجهوا الوجهة السليمة، ويتركوا استيراد النظريات التربوية من الكفار وفلاسفة الغرب.

٥ - محنته وصلابته في الحق:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله[١]: (باب ذكر ما جاء في محنة أبي عبدالله أحمد بن حنبل: في أيام المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق بسبب القرآن العظيم، وما أصابه من الحبس الطويل، والضرب الشديد، والتهديد بالقتل بسوء العذاب، وأليم العقاب، وقلة مبالاته بما كان منهم من ذلك إليه، وصبره عليه، وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم، وكان أحمد عالماً بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة، والأخبار المأثورة. وبلغه

(١) [البداية والنهاية] (١٤/ ٣٩٣).

بما أُوصِيَ به في المنام واليقظة، فرضي وسلم إيماناً واحتساباً، وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة، وهيأه الله بما آتاه من ذلك لبلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أوليائه).

ثم قال ابن كثير رحمه الله[١]: (قد ذكرنا فيما تقدم: أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل، وزينوا له القول بخلق القرآن، ونفي الصفات عن الله عز وجل.

قال البيهقي: ولم يكن في الخلفاء قبله ـ من بني أمية وبني العباس ـ خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم، فلما ولي الخلافة، اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك، وزينوا له، واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو بلاد الروم، فكتب إلى نائبه ببغداد: إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن، واتفق له

(١) [البداية والنهاية] (١٤/ ٣٩٦ـ٣٩٩).

ذلك آخر عمره قبل موته بشهور، من سنة ثماني عشرة ومائتين.

فلما وصل الكتاب ـ كما ذكرنا ـ استدعى جماعة من أئمة الحديث، فدعاهم إلى ذلك، فامتنعوا، فتهددهم بالضرب، وقطع الأرزاق، فأجاب أكثرهم مكرهين.

واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجُنْدَ يْسابوريُّ، فَحُملا على بعير، وسيرهما إلى الخليفة عن أمره بذلك. وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد. . . . فلما اقتربا من جيش المأمون ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم ـ وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ـ وهو يقول: يعز علي يا أبا عبدالله، أن المأمون قد سَلَّ سيفاً لم يسله قبل ذلك، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله ﷺ[1]: لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف، قال: فجثا الإمام أحمد على ركبتيه، ورمق بطرفه إلى السماء، وقال: سيدي غرَّ حِلمُك

(١) هكذا جاء في القصة، مع العلم أنه لا يجوز الحلف بغير الله.

هذا الفاجر حتى يتجبر على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته، قال: فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل.

قال أحمد: ففرحت بذلك، ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة، وقد انضم إليه أحمد بن أبي دُؤاد، وأن الأمر شديد، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأُسارى، ونالني معهم أذى كثير، وكان في رجليه القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق، وصلى عليه أحمد، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها وهو مريض، وذلك في رمضان، فأودع السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، وقيل: نَيِّفاً وثلاثين شهراً، ثم أُخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم، وقد كان أحمد ـ وهو في السجن ـ هو الذي يصلي في أهل السجن وعليه قيوده في رجليه، ولما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده.

قال أحمد: فلم أستطع أن أمشي بها، فَرَبطتُها في التِّكَّـةِ وحملتها بيدي، ثم جاءوني بدابة فَحُملت عليها، فكدت أن أسقط على وجهي من ثِقَل القيود، وليس معي أحد يمسكني، فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم، فأدخلت في بيت، وأُغْلِق علي. وليس عندي سراج، فأردت الوضوء فمددت يدي، فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه، ثم قمت أصلي، ولا أعرف القبلة، فلما أصبحت إذا أنا على القبلة، ولله الحمد، ثم دعيت فأدخلت على المعتصم.

وذكر ابن كثير رحمه الله المناظرة التي دارت بينه وبين خصومه بحضرة المعتصم في موضوع خلق القرآن.

إلى أن قال[1]: (ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين، إنه ضال مضل كافر، فأمر بي فأقمت بين العقابين، وجيء بكرسي فأقمت عليه، وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين، فلم أفهم، فتخلعت يداي،

(١) [البداية والنهاية] (١٤/ ٤٠٣، ٤٠٤).

وجيء بالضَّرابين ومعهم السياط، فجعل أحدهم يضربني سوطين، ويقول له :- يعني: المعتصم - شُدَّ قطع الله يدك، ويجيء الآخر فيضربني سوطين، ثم الآخر كذلك، فضربوني أسواطاً، فأغمي علي، وذهب عقلي مراراً، فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي، وقام المعتصم إليَّ يدعوني إلى قولهم فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك، الخليفة على رأسك، فلم أقبل. فأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه، فأعادوا الضرب، ثم جاء إلي الثالثة فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي، فلم أحس بالضرب، وأرعبه ذلك من أمري، وأمر بي فأطلقت، ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت، وقد أطلقت الأقياد من رجلي، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً، وقيل: ثمانين سوطاً، ولكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً.

ولما رجع إلى منزله جاء الجَرَّاح فقطع لحماً ميتاً من جسده، وجعل يداويه.. ولما شفاه الله بالعافية بقي مدة، وإبهاماه يؤذيهما البرد، وجعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية[1]، ويقول: ماذا ينفعك أن يعذب أخوك المسلم بسببك؟! انتهى باختصار.

وهكذا ثبت الإمام أحمد رحمه الله على الحق، وصبر على السجن والضرب، ولم تأخذه في الله لومة لائم، ولم ترهبه السلطة والجبروت، فكانت العاقبة له، والعقوبة لأعدائه، ومع هذا يعفو ويصفح عن خصومه، ويجعلهم في حل ما عدا المبتدعة؛ لأن المبتدعة انتهكوا محارم الله، ولم تكن إساءتهم قاصرة عليه، إنه الإيمان الراسخ، والتربية النافعة، المستمدة من الكتاب والسنة، يصنعان الرجال، ويبعثان على الثبات في مواقف الفتن والأهوال،

---

(١) سورة النور، الآية ٢٢.

وهكذا تكون مواقف الأبطال.

٦ ـ مميزات مذهبه والأصول التي بناه عليها:

مذاهب أهل السنة كلها مذاهب حق، لا سيما مذاهب الأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وكل مذهب من هذه المذاهب السنية له مميزات، ويمتاز مذهب الإمام أحمد من بينها بقربه من النصوص[١]، وفتاوى الصحابة.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله[٢]: رويت فتاويه ومسائله، وحدث بها قرناً بعد قرن، فصارت إماماً وقدوة لأهل السنة على اختلاف طبقاتهم، حتى إن المخالفين لمذهبه بالاجتهاد، والمقلدين لغيره ليعظمون نصوصه وفتاواه، ويعرفون لها حقها، وقربها من النصوص وفتاوي الصحابة، ومن تأمل فتاواه وفتاوى الصحابة رأى مطابقة

---

(١) ولهذا يعتبر الإمام أحمد من فقهاء المحدثين.

(٢) [إعلام الموقعين عن رب العالمين] للإمام ابن قيم الجوزية، حققه/ محمد محي الدين عبدالحميد (١/ ٢٨، ٢٩) مطبعة دار السعادة.

كل منهما على الأخرى، ورأى الجميع كأنها تخرج من مشكاة واحدة، حتى إن الصحابة إذا اختلفوا على قولين جاء عنه في المسألة روايتان، وكان تحريه لفتاوى الصحابة كتحري أصحابه لفتاويه ونصوصه، بل أعظم، حتى إنه ليقدم فتاويهم على الحديث المرسل.

أصول مذهبه:

كان مذهبه مبنياً على خمسة أصول وهي:

١ - النصوص، فإذا وجد نصاً أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا من خالفه.

٢ - ما أفتى به الصحابة: فإذا وجد لأحدهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها - لم يعدها إلى غيرها، ولم يقل إن ذلك إجماع، بل من ورعه في العبارة يقول: لا أعلم شيئاً يدفعه، أو نحو هذا.

٣ - إذا اختلف الصحابة في المسألة تَخَيَّر من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن

أقوالهم، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال للدليل حكى الخلاف، ولم يجزم بقول.

٤ ـ الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه، ويرجح ذلك على القياس، والمراد بالحديث الضعيف عنده: قسيم الصحيح، وقسم من أقسام الحسن، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر، ولا ما في روايته متهم.

٥ ـ فإذا لم يكن هناك نص ولا قول للصحابة أو أحدهم ولا أثر مرسل أو ضعيف ـ عدل إلى القياس فاستعمله للضرورة.

فهذه الأصول الخمسة هي أصول مذهبه، وقد يتوقف في الفتوى؛ لتعارض الأدلة عنده، أو لاختلاف الصحابة فيها، أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين، وكان شديد الكراهة والمنع للإفتاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف، كما قال لبعض

أصحابه: (إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام)[١]. أي: لم يسبق أن قال فيها أحد من الأئمة بشيء.

٧ ـ مؤلفاته:

قال الإمام ابن القيم[٢]: كان الإمام أحمد رحمه الله شديد الكراهة لتصنيف الكتب، وكان يحب تجريد الحديث، ويكره أن يكتب كلامه، ويشتد عليه جداً، فعلم الله حسن نيته وقصده، فكتب من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفراً، وَمَنَّ الله سبحانه علينا بأكثرها، فلم يفتنا منها إلا القليل، وجمع الخلال نصوصه في [الجامع الكبير]، فبلغ نحو عشرين سفراً أو أكثر، ورويت فتاويه ومسائله، وحدث بها قرناً بعد قرن، فصارت إماماً وقدوة لأهل السنة على اختلاف طبقاتهم.

---

(١) [إعلام الموقعين] (١/ ٢٩، ٣٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٨).

وقال ابن الجوزي: كان الإمام أحمد رضي الله عنه لا يرى وضع الكتب، وينهى أن يكتب عنه كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، ولنقلت عنه كتب[1]، واقتصر الإمام أحمد على التصنيف في النقول، أي: الأحاديث والآثار.

وهذه بعض مؤلفاته:

١ ـ [المسند] في الحديث، وكان يقول لابنه عبدالله: احتفظ بهذا [المسند]، فإنه سيكون للناس إماماً[2].

٢ ـ [التفسير] وهو مائة ألف وعشرون ألفاً، يعني: من الأحاديث والآثار.

٣ ـ [الناسخ والمنسوخ].

٤ ـ [التاريخ].

٥ ـ [المقدم والمؤخر في القرآن].

---

(١) [مناقب الإمام أحمد] ص (٢٤٨).

(٢) وجملة أحاديث [المسند] ثلاثون ألف حديث انتقاها من سبعمائة ألف حديث.

٦ ـ [جوابات القرآن].

٧ ـ [المناسك الكبير والصغير].

٨ ـ [الزهد].

٩ ـ [الرد على الجهمية].

٨ ـ وفاته:

مرض في أول شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين، وتوفي ليلة الجمعة، هي ليلة الثاني عشر من هذا الشهر، ولما حضرته الوفاة أشار إلى أهله أن يوضؤه، فجعلوا يوضؤنه وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعي، وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك، فلما أكملوا وضوءه توفي رحمه الله ورضي عنه، فغسلوه وكفنوه بثوب كان قد غزلته جاريته، وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله ما لم يعلم عددهم إلا الله، ثم صلي عليه، وأعيدت الصلاة عليه عند القبر، ثم أعيدت الصلاة أيضاً على القبر بعد دفنه، ولم يستقر في قبره رحمه الله إلا بعد العصر، وذلك لكثرة

الخلق الذين حضروا. وقد قدر عدد الذين صلوا عليه وشيعوه إلى قبره بألف ألف، وفي رواية: وسبعمائة ألف، أي: مليون وسبعمائة ألف.

رحم الله الإمام أحمد رحمة واسعة، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجعله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

ثانياً: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية: نبذة عن حياته وجهاده وثمرات دعوته والرد على الشبهات التي أثيرت حوله

التعريف بشيخ الإسلام ابن تيمية:

١ - نسبه وولادته:

هو شيخ الإسلام، الحافظ المجتهد، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي.

ولد بِحَرَّان، يوم الاثنين، عاشر ربيع الأول، سنة (٦٦١) إحدى وستين وستمائة، وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ.

٢ ـ مشائخه وتحصيله:

أخذ الفقه والأصول عن والده، وسمع عن خلق كثير منهم: الشيخ شمس الدين، والشيخ زين الدين بن المُنَجَّا، والمجد بن عساكر، وقرأ العربية على ابن عبدالقوي، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه، وعني بالحديث، وسمع الكتب الستة و[المسند] مرات، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر في الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك، ورد على أكابر المتكلمين والفلاسفة، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين من السنين، وتضلع في علم الحديث وحفظه.

وكان سريع الحفظ، قوي الإدراك، آية في الذكاء، رأساً في معرفة الكتاب، والسنة، والاختلاف، بحراً في النقليات، وكان له باع طويل في مذاهب الصحابة والتابعين.

٣ ـ اشتغاله في التدريس:

كان والده من كبار أئمة الحنابلة، فلما مات خلفه في وظائفه، وكان عمره تسع عشرة سنة، فاشتهر أمره، وَبَعُدَ صيته في العالم، وأخذ في تفسير القرآن الكريم أيام الجمع من حفظه.

قال عنه الحافظ أبو حفص عمر بن علي البزار، وكان من معاصريه(١): (لقد كان إذا قريء في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها، فينقضي المجلس بجملته، والدرس بزمنه، وهو في تفسير بعض آية منها... وقد منحه الله تعالى معرفة اختلاف العلماء ونصوصهم، وكثرة أقوالهم واجتهادهم في المسائل، وما روي عن كل منهم ـ من راجح ومرجوح، ومقبول ومردود.... حتى كان إذا سُئل عن شيء من ذلك كأن جميع المنقول عن

(١) [الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية] للإمام البزار، تحقيق/ الدكتور صلاح الدين المنجد، ص (٢٣، ٢٥) دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان.

الرسول ﷺ وأصحابه والعلماء فيه، من الأولين والآخرين ـ متصور مسطور بإزائه.

وهذا قد اتفق عليه كلِ من رآه، أو وقف على شيء من عِلمه، ممن لم يُغلظ عقلَه الجهل والهوى) انتهى.

وقال أيضاً[1]: وأما ذكر دروسه: فقد كنت في حال إقامتي بدمشق لا أفوّتها، وكان لا يُهيِّء شيئاً من العلم ليلقيه ويورده، بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين، فيحمد الله، ويثني عليه، ويصلي على رسوله ﷺ على صفة مستحسنة مستعذبة، لم أسمعها من غيره، ثم يشرع فيفتح الله عليه إيراد علوم، وغوامض، ولطائف، ودقائق، وفنون، ونقول واستدلالات، بآيات وأحاديث، وأقوال العلماء، ونقد بعضها، وتبيين صحته، وتزييف بعضها، وإيضاح حجته، واستشهاد بأشعار العرب، وربما ذكر اسم ناظمها، وهو مع ذلك يجري كما يجري

---

(١) [الأعلام العلية] ص (٢٨ـ ٣٠).

السيل، ويفيض كما يفيض البحر . . من غير تعجرف ولا توقف ولا لحن، بل فيض إلهي، حتى يبهر كل سامع وناظر، فلا يزال كذلك إلى أن يصمت، ولكن أراه حينئذ كأنه قد صار بحضرة من يشغله عن غيره، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب، ويحيِّر الأبصار والعقول.

وكان لا يذكر رسول الله ﷺ قط إلا ويصلي ويسلم عليه، ولا والله ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لرسول الله ﷺ ولا أحرص على اتباعه ونصر ما جاء به ـ منه، حتى كان إذا أورد شيئاً من حديثه في مسألة، ويرى أنه لم ينسخه شيء غيره من حديثه ـ يعمل به، ويقضي ويُفتي بمقتضاه، ولا يلتفت إلى قول غيره من المخلوقين، كائناً من كان.
وقال رضي الله عنه: (كل قائل إنما يحتج لقوله لا به، إلا الله ورسوله ﷺ).

وكان إذا فرغ من درسه يفتح عينيه ويقبل على الناس بوجه طلق بشيش، وخلق دمث، كأنه قد لقيهم حينئذ،

وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقال مع ذلك الحال.

ولقد كان درسه الذي يورده حينئذ قدر عدة كراريس.

وهذا الذي ذكرته من أحوال دروسه أمر مشهور يوافقني عليه كل حاضريه، وهم بحمد الله خلق كثير، لم يحصر عددهم: علماء، ورؤساء، وفضلاء من القراء والمحدثين، والفقهاء، والأدباء، وغيرهم من عوام المسلمين. انتهى كلام البزار في كتابه [الأعلام العلية].

٤ - مؤلفاته:

لشيخ الإسلام ابن تيمية مؤلفات قيمة ضخمة، ورسائل، وفتاوى - بلغ الموجود منها مجلدات ضخمة وعديدة، طبع منها حسب علمي خمسة وستون مجلداً، وهي:

١ - [مجموع الفتاوى] خمسة وثلاثون مجلداً، وقد طبع عدة مرات، ووزع في كثير من الأقطار الإسلامية،

وانتفع به المسلمون؛ لما يحتويه من علم غزير في العقائد والفقه والتفسير والحديث والأصول.

٢ ـ [موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول] وقد طبع في عشرة مجلدات.

٣ ـ [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح] (رد على شبه النصارى) وقد طبع في أربعة مجلدات.

٤ ـ [منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدرية] وقد طبع في ثمانية مجلدات محققة.

٥ ـ [الفتاوى المصرية] وقد طبع في خمسة مجلدات.

٦ ـ [الاختيارات الفقهية] وقد طبع في مجلد.

٧ ـ [القواعد النورانية الفقهية] وقد طبع في مجلد.

٨ ـ [نقض منهاج التأسيس] وقد طبع الموجود منه في مجلدين[١].

---

(١) وقد وجدت منه نسخة كاملة والحمد لله، وتقوم جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيقه وإعداده للطبع، وربما على عشرة مجلدات.

٩ ـ [إقامة الدليل على إبطال التحليل] وقد طبع في مجلد.

١٠ ـ [شرح العقيدة الأصفهانية] وقد طبع في مجلد.

١١ ـ [الصفدية] وقد طبع المجلد الأول منها، والبقية في الطريق إن شاء الله.

١٢ ـ [الاستقامة] وقد طبع المجلد الأول منه، والبقية في الطريق، إن شاء الله.

١٣ ـ [كتاب الإيمان] وقد طبع في مجلد.

١٤ ـ [كتاب نقض المنطق] وقد طبع في مجلد.

١٥ ـ [كتاب النبوات] وقد طبع في مجلد.

١٦ ـ [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] مجلد.

هذا ولا يزال الكثير من كتبه ورسائله وفتاويه مفقوداً، ويعثر بين حين وآخر على شيء منه، فيبادر من وجده إلى

نشره للانتفاع به.

وقد لمعت كتبه في هذا العصر، وانتفع بها الخلق الكثير؛ لما تحويه من العلم الغزير، والتحقيق، والتدقيق، والأصالة، وقد شهد بذلك كل من اطلع عليها ممن لم تأخذه العصبية الجاهلية والتقليد الأعمى.

٥ - ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن كثير[١]: (وقلَّ أن سمع شيئاً إلا حفظه ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكياً كثير المحفوظ، فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً بالفقه، فيقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً في الأصول، والفروع، والنحو، واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفاً به، متقناً

---

(١) [البداية والنهاية] (١٤/ ١١٨، ١١٩).

له، وأما الحديث فكان حامل رايته، حافظاً له، مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله، متضلعاً في ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة في الأصول والفروع) انتهى.

وقال الحافظ المزي في الثناء عليه(١): (ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه).

وقال الحافظ ابن دقيق العيد: لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد ويدع ما يريد.

وقال الشيخ إبراهيم الرقي: (إن ابن تيمية يؤخذ عنه، ويقلد في العلوم، فإن طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحق، ولابد من أن يعاديه الناس؛ لأنه وارث علم

---

(١) [حياة شيخ الإسلام ابن تيمية] لمحمد بهجة البيطار، ص (١٠، ١١) ط/ الثانية، المكتب الإسلامي.

النبوة).

وقال قاضي القضاة[1] **ابن الحريري**: (إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فمن هو؟!).

نقل هذه الأقوال عن هؤلاء الأئمة في الثناء على شيخ الإسلام ابن تيمية الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي في كتابه: [الكواكب الدرية].

٦ - رد الشبهات التي وجهت في حق الشيخ:

لقد ضاق خصومه قديماً وحديثاً به ذرعاً، ووجهوا ضده الاتهامات:

أولاً: من ذلك ما افتراه الرحالة ابن بطوطة، حيث قال في رحلته في حق شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع، ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله

---

(١) هذا على حد تعبيرهم، وإن كان في إطلاق هذا اللفظ ما فيه من الكراهة.

ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر).

وقد رد على هذه الفرية الشيخ العلامة محمد بهجة البيطار[1] بما يلي:

١ ـ أن ابن بطوطة لم يسمع من ابن تيمية ولم يجتمع به، إذ كان وصوله إلى دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية (٧٢٦هـ) وكان سجن شيخ الإسلام في قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلك العام، ولبث فيه إلى أن توفاه الله تعالى، ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة، عام ثمانية وعشرين وسبعمائة هجرية. فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع وهو إذ ذاك في السجن؟!

٢ ـ لم يكن شيخ الإسلام ابن تيمية يعظ الناس على منبر الجامع، وإنما كان يجلس على كرسي.

---

(١) [حياة شيخ الإسلام ابن تيمية] ص (٣٦، ٣٧).

قال الحافظ الذهبي: (وقد اشتهر أمره، وَبَعُدَ صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه).

٣ ـ إن هذا الذي ذكره ابن بطوطة يخالف ما ذكره الشيخ في جميع كتبه من أنه يجب إثبات أسماء الله وصفاته إثباتاً بلا تشبيه، وتنزيهها عن مشابهة صفات المخلوقين تنزيهاً بلا تعطيل.

وهذا الذي ذكره ابن بطوطة تشبيه ينهى عنه شيخ الإسلام، ويحذر منه غاية التحذير.

٤ ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية في موضوع النزول كتاب مستقل اسمه [شرح حديث النزول] وهو مطبوع ومتداول، وليس فيه ما ذكره ابن بطوطة، بل فيه ما يرد عليه ويبطله من أصله، والحمد لله رب العالمين.

ثانياً: قالوا عنه: (إنه يخالف الإجماع).

وقد أجاب عن هذه الشبهة الشيخ محمد بهجة البيطار

بقوله[١]: (اشتهر ابن تيمية بمسائل أثرت عنه، وظن كثير من الناس أنه انفرد بها عن غيره، بل ظنوا أنه خالف في بعضها الإجماع، وهي أمور اجتهادية يقع في مثلها الخلاف بين العلماء، ومن المفروغ منه: أن ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في الأحكام الشرعية، وأنه كان يفتي الناس بما أدى إليه اجتهاده[٢]، وأنه موافق في فتاواه بعض الصحابة، أو التابعين، أو أحد الأئمة الأربعة، أو غيرهم ممن عاصرهم، أو جاء قبلهم أو بعدهم.

وقد قال العلامة برهان الدين ابن الإمام محمد، المعروف بابن قيم الجوزية: لا نعرف مسألة خرق فيها الإجماع، ومن ادعى ذلك فهو؛ إما جاهل، وإما كاذب.

ولكن ما نسب إليه الانفراد به ينقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: ما يستغرب جداً، فينسب إليه أنه خالف فيه

---

(١) [حياة شيخ الإسلام ابن تيمية] ص (٤٥، ٤٦).

(٢) أي: أنه الراجح من الأقوال.

الإجماع؛ لندور القائل به، وخفائه على الناس؛ لحكاية بعضهم الإجماع على خلافه.

الثاني: ما هو خارج عن مذاهب الأئمة الأربعة، وقال به بعض الصحابة أو التابعين أو السلف، والخلاف فيه محكي.

الثالث: ما اشتهرت نسبته إليه مما هو خارج عن مذهب الإمام رضي الله عنه، لكن قد قال به غيره من الأئمة وأتباعهم.

الرابع: ما أفتى به واختاره مما هو خلاف المشهور في مذهب أحمد، وإن كان محكياً عنه وعن بعض أصحابه) انتهى.

قلت: وبهذا يعلم: أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم ينفرد بقول لم يقم عليه دليل من الكتاب والسنة، ولم يقل به أحد من الأئمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ومن أراد الحق في هذا فلينظر في [مجموع فتاواه الكبير] الذي بلغ خمسة وثلاثين مجلداً، وطبع عدة مرات، ووزع على نطاق واسع في العالم الإسلامي، ولا يصدق ما أشاعه عنه المغرضون، فإن قول الخصم غير مقبول على خصمه، وإنما يرجع إلى كلام الشخص نفسه، ويحكم عليه بموجبه، واليوم والحمد لله كتب شيخ الإسلام وفتاواه قد انتشرت واشتهرت، وهي تدحض ما افتراه عليه خصومه من الأكاذيب، ومن رجع إلى هذه المؤلفات القيمة أدرك أنه مفترى عليه، ووجد في هذه المؤلفات العلم الغزير الموروث عن النبي ﷺ، ولا يسع المنصف الخالي من التعصب الأعمى إلا أن يقر له بالعلم والفضل والاستقامة على الحق.

ثالثاً: قالوا: (إنه أفتى بفتاوى تخالف فتاوى الأئمة أهل السنة والجماعة).

وهذا من الكذب على شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو لم

ينفرد بقول يخالف به الأئمة جميعاً، سواء الأئمة الأربعة، أو أئمة السلف الذين هم قبل الأربعة، كما سبق بيانه، فلم يقل قولاً إلا وله سلف فيه من الأئمة وأهل السنة والجماعة، اللهم إلا أن يريد هذا القائل بأهل السنة والجماعة جماعة الأشاعرة والماتريدية ـ فهذا اصطلاح خاطىء؛ لأن المراد بأهل السنة والجماعة حَقّاً: من كان على طريقة الرسول ﷺ وأصحابه، وهم الفرقة الناجية، وهذا الوصف لا ينطبق إلا على الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم، واتبع طريقهم، والأشاعرة والماتريدية خالفوا الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة في كثير من المسائل الاعتقادية وأصول الدين، فلم يستحقوا أن يلقبوا بأهل السنة الجماعة.

وهؤلاء لم يخالفهم شيخ الإسلام ابن تيمية وحده، بل خالفهم عامة الأئمة والعلماء الذين ساروا على نهج السلف.

وهذه الفتاوى التي نسبوها كذباً للشيخ، وقالوا: أن

الشيخ خالف فيها فتاوى الأئمة أهل السنة والجماعة هي قولهم:

١ ـ (أنه يرى جلوس الله على العرش كجلوسه هو، وأنه قال ذلك على المنبر في مسجد بني أمية مراراً في دمشق وفي مصر).

ونقول: هذا من الكذب الواضح على شيخ الإسلام ابن تيمية، فشيخ الإسلام في هذه المسألة يثبت ما أثبته الله لنفسه من أنه استوى على العرش استواء يليق بجلاله سبحانه، بلا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، كما قال الإمام مالك وغيره: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وإليك ما قاله رحمه الله في هذه المسألة من إثبات استواء الله على عرشه مع نفي مشابهة المخلوقين في ذلك.

حيث قال رحمه الله[١]: (ولله تعالى استواء على عرشه حقيقة، وللعبد استواء على الفلك حقيقة، وليس استواء الخالق كاستواء المخلوقين. فإن الله لا يفتقر إلى شيء، ولا يحتاج إلى شيء، بل هو الغني عن كل شيء).

فقال رحمه الله: (لله استواء) ولم يقل: جلوس، وفرق بين استواء الله واستواء الخلق.

٢ ـ قالوا: إنه يقول: (نزول الله إلى سماء الدنيا كل ليلة كنزوله هو من المنبر).

وهذا من الكذب على شيخ الإسلام، ومما افتراه عليه ابن بطوطة، وقد بينا كذبه في ذلك ولله الحمد.

ونحن نسوق عبارة الشيخ رحمه الله في هذه المسألة لما سئل عن حديث النزول، فكان من جوابه[٢]:

---

(١) [مجموع الفتاوى] لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد (٥/ ١٩٩) ط/ دار عالم الكتب بالرياض.

(٢) المرجع السابق (٥/ ٣٢٣).

(لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه؛ كتمثيله بصفات المخلوقين، ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه ـ فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر ذلك منع منه، وإن زعم أن هذا الحديث يدل على ذلك ويقتضيه ـ فقد أخطأ أيضاً في ذلك).

وقال أيضاً(١): (من قال: إنه ينزل فيتحرك وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار؛ كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش فيكون نزوله تفريغاً لمكان وشغلاً لآخر ـ فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه.

٣ ـ قالوا: (إنه يحرم زيارة قبر النبي ﷺ).

ونقول: هذا أيضاً من الكذب الواضح، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يحرم زيارة قبر النبي ﷺ، ولا زيارة غيره من القبور، إذا وقعت هذه الزيارة وفق الأدلة الشرعية، بأن يكون الزائر رجلاً، والقصد من هذه

---

(١) [مجموع الفتاوى](٥/٥٧٩).

الزيارة التذكر والاعتبار، والدعاء للموتى من المسلمين بالرحمة والمغفرة، وكانت هذه الزيارة بدون سفر، فإن كانت زيارة القبور لقصد التبرك بها، وطلب المدد، وقضاء الحوائج، وتفريج الكربات من الموتى، أو كانت هذه الزيارة تحتاج إلى سفر، أو الزائر من النساء ـ فشيخ الإسلام ليس وحده الذي يمنع من هذه الزيارة، بل يمنع منها كل المحققين من علماء السلف والخلف؛ لأنها زيارة شركية أو بدعية، قد جاءت الأدلة من الكتاب والسنة بمنعها.

وإليك ما قاله في هذه المسألة:

قال رحمه الله[(١)]: (فإن زيارة القبور على وجهين: وجه شرعي، ووجه بدعي، فالزيارة الشرعية: مقصودها: السلام على الميت، والدعاء له، سواء كان نبياً أو غير نبي؛ ولهذا كان الصحابة إذا زاروا النبي ﷺ

---

(١) [مجموع الفتاوى] (٢٧/ ٣٠ ـ ٣٢).

يسلمون عليه، ويدعون له، ثم ينصرفون، ولم يكن أحد منهم يقف عند قبره ليدعو لنفسه؛ ولهذا كره مالك وغيره ذلك، وقالوا: إنه من البدع المحدثة.

ولهذا قال الفقهاء: إذا سَلَّم المسلم عليه وأراد الدعاء لنفسه لا يستقبل القبر، بل يستقبل القبلة.

وتنازعوا وقت السلام عليه: هل يستقبل القبلة أو يستقبل القبر؟

فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة.

وقال مالك والشافعي وأحمد: يستقبل القبر؛ وهذا لقوله ﷺ: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»** وقوله ﷺ: **«لا تتخذوا قبري عيداً»** وقوله ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما فعلوا، وقوله ﷺ: **«إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**.

ولهذا اتفق السلف على أنه لا يستلم قبراً من قبور الأنبياء وغيرهم، ولا يتمسح به، ولا يستحب الصلاة عنده، ولا قصده للدعاء عنده أو بِهِ؛ لأن هذه الأمور كانت من أسباب الشرك وعبادة الأوثان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

قال طائفة من السلف: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صَوَّروا تماثيلهم فعبدوهم.

وهذه الأمور ونحوها هي من الزيارة البدعية، وهي من جنس دين النصارى والمشركين، وهو: أن يكون قصد الزائر أن يستجاب دعاؤه عند القبر، أو أن يدعو الميت، ويستغيث به، ويطلب منه، أو يقسم به على الله في طلب حاجاته، وتفريج كرباته، فهذه كلها من البدع..) انتهى.

(١) سورة نوح، الآية ٢٣.

٤ ـ **قالوا**: إنه يقول: (إن التوسل في الدعاء كفر أو شرك).

وهذا أيضاً من الكذب الصريح على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه لم يحكم على التوسل بأنه كفر أو شرك، وإنما كان يفصل في ذلك بين التوسل المشروع والتوسل الممنوع.

وإليك عبارته في ذلك[1]: يقول رحمه الله: (فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان:

أحدها: التوسل بطاعته ـ يعني: النبي ﷺ ـ فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

والثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

والثالث: التوسل به، بمعنى: الإقسام على الله بذاته

---

(١) [مجموع الفتاوى](١/ ٢٠٢).

والسؤال بذاته ـ فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عن من ليس قوله حجة.

وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه: إنه لا يجوز، ونهوا عنه، حيث قالوا: لا يسأل بمخلوق، ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك) انتهى.

فبين الشيخ: أن هذا النوع من التوسل لا يجوز، وليس هو من فعل الصحابة، ولم يقل: إنه كفر أو شرك، كما قال هذا الكاذب عليه.

٥ ـ **قالوا:** إنه يكفِّر الناس الذين لا يتبعون آراءه، مثل: تكفيره الذين يزورون قبر الرسول، وهذا من جنس ما قبله من الأكاذيب، فالشيخ تقي الدين لا يكفر إلا من كفره الله ورسوله بارتكابه ناقضاً من نواقض الإسلام؛

كدعاء غير الله من الموتى وغيرهم، ولم يكفر الذين يزورون قبر الرسول ﷺ الزيارة الشرعية، كما سبق بيانه.

٦ ـ **قالوا**: إنه يحرم الطرق الصوفية.

وجواباً عن هذا الموضوع[١]: أنقل عبارة الشيخ رحمه الله في هذا، قال رحمه الله: (الحمد لله: أما لفظ الصوفية فإنه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك).

إلى أن قال[٢]: (ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم:

فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا: إنهم مبتدعون، خارجون عن السنة.

ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه

(١) [مجموع الفتاوى] (١١/ ٥).

(٢) المرجع السابق (١١/ ١٧، ١٨).

والكلام.

وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم.

والصواب: أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطيء، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه.

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم؛ كالحلاج مثلاً) انتهى.

هذا كلامه رحمه الله في التصوف المعروف في وقته وقبله، أما اليوم فالطرق الصوفية تغيرت، ودخلها من البدع والخرافات والشركيات الشيء الكثير. فيجب تركها

والابتعاد عنها، وملازمة السنة.

رابعاً: قالوا: إنه أفتى بفتاوى تخالف الإجماع، وهي كما يلي:

١ ـ لا يعتبر الحلف بالطلاق طلاقاً، وإنما يعتبره يميناً مكفرة.

والجواب عن هذا: أن نقول: إن دعوى الإجماع في هذه المسألة دعوى كاذبة، فإن الشيخ رحمه الله ذكر في هذه المسألة ثلاثة أقوال.

وهذا نص كلامه، حيث يقول[١]: (إذا حلف بالطلاق أو العتاق يميناً تقتضي حضاً أو منعاً؛ كقوله: الطلاق أو العتق يلزمه ليفعلن كذا، أو لا يفعل كذا، أو قوله: إن فعلت كذا فامرأتي طالق، أو فعبدي حر ونحو ذلك ـ فللعلماء فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إذا حنث وقع به الطلاق والعتاق، وهذا

---

(١) [مجموع الفتاوى](٣٣/ ١٨٧، ١٨٨).

قول بعض التابعين، وهو المشهور عند أكثر الفقهاء.

والثاني: لا يقع به شيء ولا كفارة عليه، وهذا مأثور عن بعض السلف، وهو مذهب داود، وابن حزم، وغيرهما من المتأخرين؛ ولهذا كان سفيان بن عيينة شيخ الشافعي وأحمد لا يفتي بالوقوع).

والقول الثالث: (إنه يجزئه كفارة يمين) اهـ.

٢ ـ قالوا: (إنه يعتبر الطلاق الثلاث واحدة إذا قاله الزوج دفعة واحدة).

والجواب: أن هذا لم يخالف فيه الشيخ رحمه الله إجماعاً، ولم ينفرد به، فقد سبقه إليه كثير من الأئمة.

قال رحمه الله[1]: (وهذا القول منقول عن طائفة من السلف والخلف من أصحاب رسول الله ﷺ، مثل: الزبير ابن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، ويروى عن علي، وابن مسعود، وابن عباس القولان، وهو قول كثير من

(١) [مجموع الفتاوى] (٣٣/ ٨).

التابعين، ومن بعدهم، مثل: طاووس، وخلاس بن عمرو، ومحمد بن إسحاق، وهو قول داود وأكثر أصحابه).

قال القرطبي[١]: (وشذ طاووس وبعض أهل الظاهر إلى: أن طلاق الثلاث في كلمة واحدة يقع واحدة، ويُروى هذا عن محمد بن إسحاق، والحجاج بن أرطاة، وقيل عنهما: لا يلزم منه شيء، وهو قول مقاتل، ويحكى عن داود أنه قال: لا يقع، والمشهور عن الحجاج بن أرطاة، وجمهور السلف والأئمة: أنه لازم واقع ثلاثاً) انتهى.

٣ ـ وقالوا: (إنه لا يصحح طلاق الحائض، والطلاق في الطهر الذي جامعها فيه).

والجواب: أن هذا الطلاق طلاق بدعة. وقد اختلف

---

(١) [تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن] للإمام القرطبي (٣/ ١٢٩) ط/ دار الكتب المصرية.

العلماء هل يقع أو لا؟.

فإذا قال الشيخ بعدم وقوعه فإنه لم يخالف بذلك إجماعاً، كما يدعي هذا المفتري، فالمسألة خلافية، وكل له دليله. ومن تبين له رجحان قول وجب عليه الأخذ به.

قال القرطبي[1]: وقال سعيد بن المسيب في آخرين: لا يقع الطلاق في الحيض؛ لأنه خلاف السنة، انتهى.

٤ ـ قالوا: (إنه لا يرى قضاء الصلاة المتروكة عمداً).

والجواب: أن الموجود من كلام الشيخ في [مجموع الفتاوى] [2] في هذه المسألة ما نصه: (وأما من كان عالماً بوجوبها وتركها بلا تأويل حتى خرج وقتها المؤقت ـ فهذا يجب عليه القضاء عند الأئمة الأربعة.

وذهب طائفة ـ منهم: ابن حزم وغيره ـ إلى أن فعلها بعد الوقت لا يصح من هؤلاء، وكذلك قالوا فيمن ترك

(١) [تفسير القرطبي](١٧/ ١٥١).
(٢) [مجموع الفتاوى](٢٢/ ١٠٣).

الصوم متعمداً، والله سبحانه وتعالى أعلم) انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في [فتح الباري][(١)] على حديث «**من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها، لا كفارة لها إلا ذلك**» قال: (وقد تمسك بدليل الخطاب منه القائل: إن العامد لا يقضي الصلاة؛ لأن انتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط، فيلزم منه أن من لم ينس لا يصلي) اهـ.

فالشيخ إنما حكى الخلاف فقط، والمسألة خلافية ليست محل إجماع، والله أعلم.

وقال الشيخ أيضاً في [مجموع الفتاوى][(٢)]: (اختلف الناس فيمن ترك الصلاة والصوم عامداً هل يقضيه؟

فقال الأكثرون: يقضيه، وقال بعضهم: لا يقضيه، ولا يصح فعله بعد وقته كالحج) انتهى.

---

(١) [فتح الباري شرح صحيح البخاري] للإمام ابن حجر العسقلاني (١/ ٧٠) ط/ المكتبة السلفية بمصر.

(٢) [مجموع الفتاوى] (٢٢/ ١٨، ١٩).

ولم يزد على حكاية الخلاف.

٥ - وقالوا عنه: (قال: الذي ينكر الإجماع لا يعتبر كافراً أو فاسقاً).

وهذا كذب على الشيخ رحمه الله؛ لأنه يحترم الإجماع، ويحث على التمسك به، وينهى عن مخالفته.

قال في [مجموع الفتاوى][1].

(الحمد لله.. معنى الإجماع: أن يجتمع علماء المسلمين على حكم من الأحكام، وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة) انتهى.

٦ - **قالوا**: (إنه يرى أن ذات الله عز وجل مركبة، بعضها يحتاج إلى بعض، وأن الله له جسم وله جهات، وينتقل من مكان إلى مكان آخر).

---

(١) [مجموع الفتاوى] (٢٠/ ١٠).

وهذا من الكذب الشنيع على شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه رحمه الله في كل كتاباته ومؤلفاته يقرر مذهب السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، في أسماء الله وصفاته، وهو: إثباتها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[١].

قال في مطلع [الرسالة الحموية الكبرى] لما سئل: ما قول السادة العلماء أئمة الدين في آيات الصفات وأحاديث الصفات[٢]؟

فأجاب: (الحمد لله رب العالمين.. قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون: من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

(٢) [مجموع الفتاوى](٥/٥، ٦).

بعد هؤلاء، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره) انتهى[١].

وقال أيضاً في موضوع الحركة والانتقال في [المجموع]: (والذي يجب القطع به: أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما يصف به نفسه، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الأشياء - فهو مخطىء قطعاً، كمن قال: إنه ينزل فيتحرك، وينتقل كما ينزل الإنسان من السطح إلى أسفل الدار، كقول من يقول: إنه يخلو منه العرش، فيكون نزوله تفريغاً لمكان وشغلاً لآخر - فهذا باطل، يجب تنزيه الرب عنه، كما تقدم.

وهذا هو الذي تقوم على نفيه وتنزيه الرب عنه الأدلة الشرعية والعقلية) انتهى.

---

(١) [مجموع الفتاوى] (٥/ ٥٧٨، ٥٧٩).

وقال في موضوع الجسم والتركيب في [مجموع الفتاوى][(١)]: (فمن قال: إنه جسم، وأراد أنه مركب من الأجزاء ـ فهذا قوله باطل، وكذلك إن أراد أنه يماثل غيره من المخلوقات فقد علم بالشرع والعقل: أن الله ليس كمثله شيء في شيء من صفاته، فمن أثبت لله مثلاً في شيء من صفاته فهو مبطل.

ومن قال: (إنه جسم بهذا المعنى فهو مبطل).

ومن قال: إنه ليس بجسم، بمعنى: أنه لا يرى في الآخرة، ولا يتكلم بالقرآن وغيره من الكلام، ولا يقوم به العلم والقدرة وغيرهما من الصفات، ولا ترفع الأيدي إليه في الدعاء، ولا عرج بالرسول ﷺ إليه، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا تعرج الملائكة والروح إليه ـ فهذا قوله باطل، وكذلك كل من نفى ما أثبته الله ورسوله، وقال: إن هذا تجسيم ـ فنفيه باطل، وتسمية ذلك تجسيماً تلبيس

---

(١) [مجموع الفتاوى] (١٧/ ٣١٧).

منه).

إلى أن قال[١]: (بل لم ينطق كتاب ولا سنة ولا أثر من السلف بلفظ الجسم في حق الله تعالى، لا نفياً ولا إثباتاً، فليس لأحد أن يبتدع اسماً مجملاً يحتمل معاني مختلفة لم ينطق به الشرع، ويعلق به دين المسلمين) انتهى.

وقال أيضاً[٢]: (وهذه الألفاظ المحدثة المجملة النافية مثل: لفظ: (المركب) و(المؤلف) و(المنقسم) ونحو ذلك، قد صار كل من أراد نفي شيء مما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ـ عَبَّرَ بها عن مقصوده. فيتوهم من لا يعرف مراده أن المراد: تنزيه الرب الذي ورد به القرآن، وهو إثبات أحديته وصمديته، ويكون قد أدخل في تلك الألفاظ ما رآه هو منفياً، وعبر عنه بتلك العبارة وضعاً له، واصطلاحاً اصطلح عليه هو ومن وافقه على

---

(١) [مجموع الفتاوى] (١٧/ ٣١٨).

(٢) المرجع السابق (١٧/ ٣٥١، ٣٥٢).

ذلك المذهب، وليس ذلك من لغة العرب التي نزل بها القرآن، ولا من لغة أحد من الأمم، ثم يجعل ذلك المعنى هو مسمى الأحد والصمد والواحد، ونحو ذلك من الأسماء الموجودة في الكتاب والسنة) انتهى.

وبهذه المنقولات من كلام الشيخ رحمه الله ظهر بطلان ما نسبه إليه أعداؤه الكذابون من هذه الأباطيل، والحمد لله.

٧ ـ **قالوا**: (إنه يرى أن القرآن حديث ليس بقديم).

والجواب: أن نسوق عبارة الشيخ رحمه الله في هذا الموضوع.

قال في [مجموع الفتاوى][١]: (أن السلف قالوا: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وقالوا: لم يزل متكلماً إذا شاء، فبينوا أن كلام الله قديم، أي: جنسه قديم لم يزل، ولم يقل أحد منهم: إن نفس الكلام المعين قديم،

---

(١) [مجموع الفتاوى] (١٢/ ٥٤).

ولا قال أحد منهم: القرآن قديم، بل قالوا: إنه كلام الله منزل غير مخلوق، وإذا كان الله قد تكلم بالقرآن بمشيئته كان القرآن كلامه، وكان منزلاً منه غير مخلوق، ولم يكن مع ذلك أزلياً قديماً بقدم الله، وإن كان الله لم يزل متكلماً إذا شاء فجنس كلامه قديم، فمن فهم قول السلف وفَرَّقَ بين هذه الأقوال زالت عنه الشبهات في هذه المسائل المعضلة التي اضطرب فيها أهل الأرض) انتهى.

فتبين بهذا: أن نفي القدم عن القرآن ليس رأيه وحده، كما يزعم المفترون، وإنما هو رأي سلف هذه الأمة قاطبة، وأن هناك فرقاً بين جنس الكلام وأفراد الكلام. والله أعلم.

٨ ـ قالوا: (إنه يقول بقدم العالم).

وهذا من الكذب الصريح على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإنه لا يقول بقدم العالم.

وإليك عبارته رحمه الله في إبطال هذا القول ورده.

قال في [مجموع الفتاوى][(١)] : (فإن الرسل مطبقون على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن، ليس مع الله شيء قديم بقدمه، وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والعقول الصريحة تعلم أن الحوادث لابد لها من مُحْدِث. وفي الجزء الثاني من هذا المجموع المبارك، في الصفحة (١٨٨) صرح بتكفير من قال بقدم العالم.

٩ ـ قالوا: (إنه يقول: إن الأنبياء غير معصومين).

والجواب: أن هذا كذب صريح، وبهتان واضح، فإن شيخ الإسلام رحمه الله يقرر عصمة الأنبياء ويثبتها.

وهذا نص عبارته في هذا الموضوع حيث يقول[(٢)] : (إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة؛ ولهذا وَجَبَ الإيمان بكل ما أوتوه[(١)] .

---

(١) [مجموع الفتاوى] (٩/ ٢٨١).

(٢) المرجع السابق (١٠/ ٢٨٩).

إلى أن قال[١]: (وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع، هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها، أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها، أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط، وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث، أو لا؟

والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع).

والقول الذي عليه جمهور الناس: ـ وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف ـ إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً. انتهى[١].

الخاتمة:

وهكذا والحمد لله وجدنا في كلام الشيخ رداً على كل ما افتراه عليه خصومه، ونفياً لما نسبوه إليه. هذا يدل على

---

(١) [مجموع الفتاوى] (١٠/ ٢٩٢، ٢٩٣).

غزارة علمه وإمامته، ونحن لا ندعي له العصمة، فهو كغيره من الأئمة يخطىء ويصيب.

قال الإمام ابن كثير في ترجمته له في [البداية والنهاية](١): (وأثنى عليه وعلى علومه جماعة من علماء عصره مثل: القاضي الخوبي، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، والقاضي الحنفي، وقاضي قضاة مصر ابن الحريري، وابن الزملكاني وغيرهم، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال: (اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهتها، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدين.

إلى أن قال ابن كثير: (وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء وممن يخطىء ويصيب ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجي، وخطؤه أيضاً مغفور له، كما في [صحيح البخاري]: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله**

---

(١) [البداية والنهاية] (١٤/ ١١٩).

أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» فهو مأجور، وقال الإمام مالك بن أنس: كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر) انتهى[١].

وكما قلنا قريباً: إن مؤلفات هذا العالم موجودة ومبذولة لكل من أرادها، فمن أراد أن يعرف الحقيقة بلا مكابرة فليطالعها، ولا يستمع لما يقوله عنه خصومه وحساده والمغرضون المضللون، فإن العدل والإنصاف أن تحكم على الشخص من واقع كلامه المذكور في كتبه، لا من كلام خصومه. فأعداء الدين دائماً في صراع مع دعاة الحق الذين يردون كيدهم، ويبينون زيغهم، ويظهرون للناس حقيقتهم.

فقد ظهر شيخ الإسلام في عصر قد اشتدت فيه غربة

---

(١) وقد رد على هذه الشبهات جماعة من العلماء منهم الحافظ ابن عبدالهادي في [الصارم المنكي في الرد على السبكي]، ومنهم: علامة العراق الشيخ نعمان خيري الألوسي في كتابه: [جلاء العينين]، ومنهم علامة الشام: الشيخ محمد بهجة البيطار في [حياة شيخ الإسلام ابن تيمية].

الإسلام، وتفرقت كلمة المسلمين، وظهرت الفرق المخالفة لما كان عليه السلف الصالح في العقائد والفروع، وخَيَّم الجمود الفكري، والتقليد الأعمى، فأثَّر في الجو العلمي.

ظهرت فرق: الشيعة، والصوفية المنحرفة، والقبورية، ونفاة الصفات، والقدرية، وطغى علم الكلام والفلسفة، حتى حَلاً محل الكتاب والسنة لدى الأكثرية من المتعلمين في الاستدلال، هذا كله في داخل المجتمع الإسلامي في ذلك العصر، ومن خارج المجتمع تكالب أعداء الإسلام، فغزوا المسلمين في عقر دارهم، فجاءت جيوش التتار تداهم المسلمين وتفتك بهم.

في هذا الجو المعتم عاش شيخ الإسلام ابن تيمية ضياء لامعاً بعلمه الأصيل الغزير، يدرس الطلاب، ويؤلف الكتب والرسائل على المنحرفين، ويفتي في النوازل والمسائل، ويناظر المنحرفين، ويرد على المحرفين،

وينازل الفرق والطوائف، فيرد على الشيعة والقدرية، ويرد على علماء الكلام والفلاسفة، ويرد على المعطلة والمؤولة في الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ويرد على الصوفية المنحرفة، وعلى القبوريين، والمبتدعة، وينازل أهل الجمود الفقهي، والخمول الفكري، برد الفقه إلى أصوله الصحيحة، ومنابعه الصافية، وتصحيح الصحيح، وتزييف الزائف، حتى أعاد للشريعة نقاءها، وإلى العلوم الشرعية صفاءها.

يظهر ذلك في مؤلفاته التي خلفها ثروة علمية هائلة، وإلى جانب مجهوده العلمي العظيم شارك في الجهاد في سبيل الله، فحمل السلاح، وخاض المعارك ضد التتار عدة مرات، مما كان له أطيب الأثر في تقوية معنوية المجاهدين، حتى انتصروا على عدوهم.

وقد تخرج على يد هذا العالم الجليل أئمة من طلابه حملوا الراية من بعده، منهم: الإمام ابن القيم، والإمام

ابن كثير، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن عبد الهادي، وغيرهم ممن أخذوا عنه العلم ونشروه في الآفاق بما ألفوه من المؤلفات القيمة التي تزخر بها المكتبات الإسلامية اليوم.

فجزى الله شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ونفعنا بعلومه.

ولما قام بهذا الواجب العظيم غاض خصومه، فرمته كل طائفة من الطوائف المنحرفة بلقب سيء، تريد بذلك صد الناس عن دعوته، وتشويه عمله.

فنفاة الصفات قالوا: (إنه مجسم)؛ لأن إثبات الصفات عندهم تجسيم.

ومتعصبة الفقهاء والمبتدعة قالوا: إنه خرق الإجماع؛ لأن أخذ القول الراجح بالدليل المخالف لما هم عليه، ورد البدع خرق للإجماع عندهم.

وغلاة الصوفية والقبوريون قالوا: إنه يبغض الأولياء،

ويكفر المسلمين، ويحرم زيارة القبور؛ لأن الدين عندهم هو: التقرب إلى الأولياء والصالحين، وتعظيم مشايخ الطرق الصوفية، واتخاذهم أرباباً من دون الله، والغلو في تعظيمهم بصرف العبادة إليهم.

هذا موقف هذه الطوائف من دعوة وتجديد شيخ الإسلام، وهو موقف يتكرر مع كل مصلح ومجدد يدعو إلى دين الله الذي جاء به رسوله ﷺ، ونبذ ما خالفه من دين الآباء والأجداد وعادات الجاهلية.

وليس هذا بغريب، فقد قوبلت دعوة النبي ﷺ من قبل بأعظم من هذا، وقيل عنه: إنه ساحر كذاب، وإنه شاعر مجنون، إلى غير ذلك من الألقاب السيئة التي يراد بها الصد عن دين الله، والبقاء على دين الشرك الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، فلشيخ الإسلام وإخوانه من الدعاة إلى الله أسوة بنبيهم، ولهؤلاء المنحرفين سلف من المشركين والمكذبين، ولكن العاقبة للمتقين.

فهذه كتب شيخ الإسلام تأخذ طريقها إلى أيدي كل من يريدون الحق ويتنافسون في الحصول عليها، والتنقيب عن المفقود منها لإخراجه للناس.

فعليك أيها المسلم الناصح لنفسه أن لا تلتفت إلى أقوال المرجفين في حق هذا العالم المجدد المجاهد، وأن تنظر إلى أقواله هو لا إلى ما يقال عنه، لتصل إلى الحقيقة ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾[1].

هذا وقد وصلت كتب هذا العالم المجاهد إلى مجدد القرن الثاني عشر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث تخرج عليها وانتفع بها، فإلى التعرف على تلك الشخصية في الصفحات التالية:

---

(١) سورة الروم، الآية ٦٠.

ثالثاً: شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: نبذة عن حياته وجهاده وثمرات دعوته ورد الشبهات التي أثيرت حول دعوته

١ - التعريف بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن مشرف النجدي التميمي.

ولد سنة ١١١٥هـ، في بلد العيينة من أرض نجد، ونشأ في بيت علم، فوالده من علماء البلاد، وتولى القضاء في عدة جهات، وجده الشيخ سليمان كان عالماً جليلاً، وإماماً في الفقه، وهو المفتي في البلاد في وقته، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء وطلبة العلم، وعمه الشيخ إبراهيم بن سليمان كان من أجلة العلماء، فنشأ الشيخ محمد في هذا الجو العلمي، وكان حاد الذهن،

متوقد الذكاء، سريع الحفظ، حفظ القرآن الكريم قبل سن العاشرة، ودرس على والده كتب الفقه الحنبلي، وكان كثير المطالعة والقراءة للكتب، إلى جانب قراءته على والده، فقرأ في كتب التفسير والحديث والأصول، وعني عناية خاصة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتب العلامة ابن القيم.

وكان لكتب هذين الإمامين أكبر الأثر في تكوين شخصيته العلمية المتميزة، والأخذ بيده إلى مصادر العلم الصحيحة، فتكوّن لديه الاتجاه السليم منذ صغره، وتركزت في قلبه العقيدة الصحيحة، وتخرج على كتب هذين الإمامين المحققين.

رحلاته:

ولما استوعب ما يدرس في بلدته من علوم الفقه والعربية والحديث والتفسير ـ تطلع إلى الزيادة، وعزم على الرحلة إلى علماء البلاد المجاورة للاستفادة من علومهم، فرحل إلى البصرة، وإلى الأحساء، وإلى مكة،

والمدينة، والتقى بعلماء تلك البلدان، وأخذ عنهم، واستحصل على الكتب والمراجع.

ولنترك المجال لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن ليحدثنا عن تلك الرحلات المباركة(١).

قال: (إنه نشأ في طلب العلم، وتخرج على أهله في سن الصبا، ثم رحل لطلب العلم للبصرة مراراً، وللأحساء، ثم إلى المدينة).

ثم قال في تفصيل ذلك: (فظهر شيخنا بين أبيه وعمه، فحفظ القرآن وهو صغير، وقرأ في فنون العلم، وصار له فهم قوي، وهمة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب، فتخرج عليهما في الفقه، وناظرهما في مسائل قرأها في [الشرح الكبير]

(١) [الدرر السنية في الأجوبة النجدية] جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم (٩/ ٢١٥، ٢١٦) مطابع المكتب الإسلامي - بيروت - مطبوعات دار الإفتاء.

و[المغني] و[الإنصاف] لما فيها من مخالفة ما في متن [المنتهى] و[الإقناع].

وعلت همته إلى طلب التفسير والحديث، فسافر إلى البصرة غير مرة، كل مرة يقيم بين من كان بها من العلماء، فأظهر الله له أصول الدين ما خفي على غيره، وكذلك ما كان عليه أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات والإيمان).

إلى أن قال: (فصنف في البصرة [كتاب التوحيد] الذي شهد له بفضله بتصنيفه القريب والبعيد، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث...).

إلى أن قال: (ثم إن شيخنا رحمه الله تعالى بعد رحلته إلى البصرة، وتحصيل ما حصل بنجد ـ رحل إلى الأحساء، وفيها فحول العلماء، منهم: عبد الله بن فيروز أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ما سُرَّ به، وأثنى على عبدالله هذا بمعرفته بعقيدة الإمام أحمد، وحضر مشايخ الأحساء، ومن أعظمهم عبد الله بن عبد اللطيف القاضي، فطلب منه أن

يحضر الأول من [فتح الباري على البخاري] ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبين أن الأشاعرة خالفوا ما صدر به البخاري كتابه من الأحاديث والآثار، وبحث معهم في مسائل وناظر، وهذا أمر مشهور يعرفه أهل الأحساء وغيرهم من أهل نجد.

إلى أن قال: (ثم إن شيخنا رحمه الله رجع من الأحساء إلى البصرة، وخرج منها إلى نجد قاصداً الحج فحج رحمه الله تعالى.

وقد تبين له بما فتح الله تعالى عليه ضلال من ضل باتخاذ الأنداد، وعبادتها من دون الله في كل قطر وقرية إلا من شاء الله، فلما قضى الحج وقف في الملتزم، وسأل الله تعالى أن يظهر هذا الدين بدعوته، وأن يرزقه القبول من الناس، فخرج قاصداً المدينة مع الحاج يريد الشام، فتعرض له بعض سراق الحجيج، فضربوه وسلبوه، وأخذوا ما معه، وشجوا رأسه، وعاقه ذلك عن مسيره مع الحجاج، فقدم المدينة بعد أن خرج الحاج منها، فأقام

بها، وحضر عند العلماء إذ ذاك، منهم محمد حياة السندي، وأخذ عنه كتب الحديث إجازة في جميعها، وقراءة لبعضها، ووجد فيها بعض الحنابلة[١].

فكتب كتاب [الهدي] لابن القيم بيده، وكتب متن البخاري، وحضر في النحو، وحفظ ألفية ابن مالك، حدثني بذلك حماد بن حمد عنه رحمهما الله، ثم رجع إلى نجد وهم على الحالة التي لا يحبها الله) انتهى المقصود.

فأنت ترى أيها القارىء من هذا السياق قوة الأسباب التي بذلها الشيخ لتحصيل العلم: كثرة الحفظ، وكثرة القراءة والاطلاع، وكثرة الرحلات في طلب العلم للتلقي عن العلماء، مع شدة الذكاء والنية الصالحة.

إن هذه الأسباب مع توفيق الله تعالى كفيلة بتوفر التحصيل، وهذا ما حصل.

---

(١) منهم الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف وابنه.

٢ - حالة المسلمين عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

لقد ذكر المؤرخون ـ كابن غنام وابن بشر وغيرهما ـ عن حالة أهل نجد خصوصاً، والعالم الإسلامي عموماً ـ الشيء الكثير من ظهور البدع، والخرافات، والشركيات، والجهل بحقيقة الدين الصحيح.

ففي نجد كانت القبور والأشجار والأحجار والمغارات تعبد من دون الله بأنواع من القربات.

وفي الحجاز واليمن وغيرهما من البلاد من ذاك الشيء الكثير.

يقول العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني في قصيدة له يصف المظاهر الشركية في البلاد الإسلامية، وهو معاصر للشيخ محمد، وقد وصف ما يفعل ويمارس حول القبور من الشرك الأكبر، ويثني على دعوة الشيخ:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله يغوث وود بئس ذلك من ود
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم عقروا في سوحها من عقيرة أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبِّل ومستلم الأركان منهن باليد

ويقول الإمام الشوكاني، وهو من المعاصرين لدعوة الشيخ أيضاً[١] - يقول في وصف ما يفعل عند القبور من الشرك: (وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام.

منها: اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع، ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم،

---

(١) [نيل الأوطار من أحاديث سيد الأبرار شرح منتقى الأخبار] للإمام الشوكاني (٤/ ١٣١) ط/ دار الجيل، بيروت - لبنان.

وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها واستغاثوا.

وبالجملة: إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً.

وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني ـ تلعثم وتلكأ، وأبى واعترف بالحق.

وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين، ويا ملوك المسلمين، أي رزء للإسلام أشد من الكفر؟! وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟! وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه

المصيبة؟! وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجباً؟!

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً ... ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رماد

انتهى.

وقد ألف كل من هذين الإمامين[1] رسالة في التحذير من هذا الشرك الذي فشا في البلدان في عصرهما: فألف الصنعاني رسالة اسمها [تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد]، وألف الشوكاني رسالة اسمها [شفاء الصدور بتحريم البناء على القبور] وكلتا الرسالتين مطبوعتان ومتداولتان.

وفي هذا الجو المظلم ظهر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب بالعقيدة السليمة، والدعوة المستقيمة.

وقال بعض علماء نجد في وصف الحالة التي كانوا عليها قبل ظهور دعوة الشيخ، وهم من المعاصرين

---

(١) الصنعاني والشوكاني.

له[١].

(من محمد بن غيهب، ومحمد بن عيدان إلى عبدالله المويس، الباعث للكتاب إخبارك عن ديننا قبل أن يجعل[٢] هذا الشيخ لهذا القرن، يدعوهم إلى الله، وينصح لهم، ويأمرهم، وينهاهم، حتى أطلع الله به شموس الوحي، وأظهر به الدين، وفرق به أهل الباطل من السادة والكهان والمرتشين، فهو غريب في علماء هذا الزمان، هو في شأن وهم في شأن آخر.

رفع الله له علم الجهاد، فشمر إليه، فأمر ونهى، ودعا إلى الله تعالى ونصح، ووفى بالعهد لما نقضوه، وشمر عن ساعد الجد لما تركوه، وتمسك بالكتاب المنزل لما نبذوه، فبدعوه وكفروه، فديننا قبل هذا الشيخ المجدد لم يبق منه إلا الدعوى والاسم، فوقعنا في الشرك، فقد ذبحنا

---

(١) من كتاب [علماء نجد خلال ستة قرون] للشيخ عبدالله البسام (٢/ ٦٠٥، ٦٠٦) مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ـ مكة المكرمة.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: (يجيء) بدل (يجعل).

للشياطين، ودعونا الصالحين، ونأتي الكهان، ولا نفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقر به مشركو العرب، وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنة والبدعة، فنجتمع لليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم ينزل بها من سلطان ونضيع الفريضة، ونقدم قبل الصلاة الوسطى - صلاة العصر - من الهذيان ما يفوتها عن وقت الاختيار إلى وقت الضرورة، هذا وأضعافه من البدع لم ينهنا عنه علماؤنا، بل أقرونا عليه، وفعلوه معنا، فلا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر، ولا ينصحون جاهلاً، ولا يهدون ضالاً، والكلام من جهتهم طويل.

عصمنا الله وإياك من الاقتداء بهم، واتباع طريقتهم، فكن منهم على حذر إلا القليل منهم، ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يخطب به على منابرهم. ومن ذلك قول ابن الكهمري: اللهم صل على سيدنا ولينا ملجانا منجانا معاذنا ملاذنا. وكذلك تعطيل الصفات في

خطب الطيبي، فيشهد أن الله لا جسم ولا عرض ولا قوة.

فقبل هذا الشيخ لا تؤدى أركان الإسلام؛ كالصلاة، والزكاة، فلم يكن في بلدنا من يزكي الخارج من الأرض حتى جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً.

٣ ـ عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

قال رحمه الله جواباً لمن سأله عن عقيدته[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

(أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم: أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية: أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء

---

(١) انظر [الدرر السنية] (١/ ٢٨ ـ ٣٠).

وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، فَنَزَّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1].

والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط

---

(١) سورة الصافات، الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢ .

في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد ﷺ.

وأؤمن بأن الله فعَّال لما يريد، ولا يكون في ملكه شيء إلا بإرادته ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأؤمن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٠٢﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾(١)، وتنشر الدواوين، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله.

فأؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شَرِبَ منه شربة لن يظمأ بعدها أبداً.

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم، يَمُرُّ به الناس على قدر أعمالهم.

وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع وأول مشفع، ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا بعد الإذن والرضى، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ١٠٢، ١٠٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٨.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

مَلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾(١)، هو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾(٢).

وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته.

وأؤمن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، وأن أفضل أمته: أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة،

---

(١) سورة النجم، الآية ٢٦.

(٢) سورة المدثر، الآية ٤٨.

ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة: أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم.

وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ، وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝١٠﴾[1].

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأقر بكرامات الأولياء، وما لهم من المكاشفات، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن، وأخاف

---

(١) سورة الحشر، الآية ١٠.

على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب[1]، ولا أخرجه من دائرة الإسلام.

وأرى **الجهاد** ماضياً مع كل إمام؛ براً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة.

والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل.

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين؛ بَرِّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس، ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ـ وجبت طاعته، وحرم الخروج عليه.

وأرى هجر أهلِ البدع، ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأَكِل سرائرهم إلى الله.

وأعتقد: أن كل محدثة في الدين بدعة.

---

(١) يعني: الذنب الذي ليس هو من نواقض الإسلام.

وأعتقد أن الإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق.

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة.

فهذه عقيدة وجيزة، حررتها وأنا مشتغل البال؛ لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل) انتهى.

وبهذا يعلم أن عقيدته رحمه الله هي عقيدة السلف الصالح، وأنه بريء مما نسبه إليه أعداء الدين، من أنه على مذهب الخوارج.

٤ ـ بدء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

في وسط هذا الجو المظلم الذي سبق وصفه سطعت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ورفع صوته منكراً

هذا الشرك، داعياً الناس إلى التوحيد الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ، فلقي من الناس ما يلقاه أمثاله من الدعاة إلى الله من الأذى، وأطاعه من وفقه الله لقبول الحق.

يقول حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: (ثم رجع إلى نجد وهم على الحالة التي لا يحبها الله، ولا يرضاها، من الشرك بعبادة الأموات والأشجار والأحجار والجن، فقام فيهم يدعوهم إلى التوحيد، وأن يخلصوا العبادة بجميع أنواعها لله، وأن يتركوا ما كانوا يعبدونه من قبر، أو طاغوت، أو شجر، أو حجر، والناس يتبعه الواحد منهم والإثنان، فصاح به الأكثرون، وحذروا منه الملوك، وأغروهم بعداوته) انتهى[١].

وهذا لا يعني أنه لا يوجد في هذا العصر علماء، بل يوجد منهم الكثير، ولكن هم ما بين مستحسن لِهَذَا

---

(١) [الدرر السنية](٩/٢١٦).

الوضع السيىء، أو غير مستحسن له، لكنه لا يملك الشجاعة لمقاومته.

٥ ـ أصول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

لقد أوضح أصول دعوته في إحدى رسائله حيث قال[١]:

١ ـ أما ما نحن عليه من الدين: فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾[٢].

٢ ـ وأما ما دعونا الناس إليه: فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطاباً لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ

---

(١) [الدرر السنية] (١/ ٦٢ ـ ٦٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية ٨٥.

(٣) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾(١).

٣ ـ وأما ما نهينا الناس عنه: فنهيناهم عن الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾(٢)، وقوله تعالى لنبيه ﷺ على سبيل التغليظ، وإلا فهو منزه هو وإخوانه عن الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾(٣)، وغير ذلك من الآيات.

٤ ـ ونقاتلهم عليه، كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(٤) أي: شرك، ثم ساق الأدلة على ذلك، إلى أن قال:

٥ ـ وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد: فنحن مقلدون

(١) سورة الجن، الآية ١٨.
(٢) سورة المائدة، الآية ٧٢.
(٣) سورة الزمر، الآيتان ٦٥، ٦٦.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٩٣.

للكتاب والسنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله.

٦ ـ وما جئنا بشيء يخالف النقل، ولا ينكره العقل.. نقاتل عباد الأوثان[١]، كما قاتلهم ﷺ، ونقاتلهم على ترك الصلاة، وعلى منع الزكاة، كما قاتل مانعها صديق هذه الأمة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، انتهى.

وقال في رسالة أخرى من رسائله[٢]:

٧ ـ وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعدما عرفه سبَّه، ونهى الناس عنه، وعادى من فعله ـ

---

(١) وقال في بعض أجوبته: (نقاتلهم بعدما نقيم الحجة عليهم، من كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأئمة، ممتثلين قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩]) انتهى. [الدرر السنية] (١/ ٥٨).

(٢) [الدرر السنية] (١/ ٥٦).

فهذا الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك[١].

٨ ـ وأما القتال: فلم نقاتل أحداً إلا دون النفس والحرمة، فإنا نقاتل على سبيل المقابلة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[٢]، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه.

وقال أيضاً[٣]:

٩ ـ وأيضاً ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الربا، وشرب المسكر، وأنواع المنكرات.

٦ ـ المراحل التي مرت بها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

بدأ الشيخ دعوته في بلدة حريملاء؛ لوجود والده

---

(١) وقال: فإن قال قائلهم: إنهم يكفرون بالعموم، فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد، ويسميهم بالخوارج.

(٢) سورة الشورى، الآية ٤٠.

(٣) [الدرر السنية](١/ ٥٤).

فيها، ولكن لما كانت الظروف غير مواتية ترك هذه البلدة بحثاً عن غيرها، فاتجه إلى العيينة، واتصل بأميرها عثمان ابن معمر، فساعده في أول الأمر، واجتمع حوله طلبة، وبدأ بتنفيذ الأحكام الشرعية؛ فهدم بعض القباب الشركية، ورجم في الزنا.

ثم إن ابن معمر تخلى عنه؛ خوفاً من تهديد بعض الرؤساء، فترك الشيخ العيينة، وبحث عن غيرها، فاتجه إلى الدرعية، واتصل بأميرها محمد بن سعود، وعرض عليه دعوته، فقبلها، وبايعه على مناصرته، وصدق في ذلك، وهناك استقر الشيخ رحمه الله، وانعقدت حوله حلق الدروس، ووفد إليه الطلاب من مختلف الجهات، وتكونت في هذه البلدة ولاية إسلامية، أميرها: الإمام محمد بن سعود، وموجهها: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وامتدت الدعوة إلى البلاد المجاورة، ونشأ الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة التوحيد، وقمع الشرك،

وما هي إلا فترة وجيزة حتى انتشرت الدعوة، وتوحدت جميع البلدان النجدية تحت رايتها، وامتدت فيما بعد ذلك إلى الحجاز وعسير وشمال الجزيرة، وكان ذلك بفضل الله وحده، ثم بمؤازرة آل سعود لهذه الدعوة المباركة، وصدق الله وعده: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝﴾[1]، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝﴾[2]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[3].

٧ - المراجع التي يعتمد عليها الشيخ رحمه الله وعلماء الدعوة من بعده والمنهج الذي يسيرون عليه في الفتوى وأخذ المسائل:

المراجع التي يعتمد عليها علماء الدعوة هي:

١ - القرآن الكريم وتفاسيره المعتمدة.

---

(١) سورة محمد، الآية ٧.
(٢) سورة الصافات، الآية ١٧٣.
(٣) سورة الحج، الآية ٤٠.

٢ ـ السنة النبوية وشروحها.

٣ ـ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، وغيرها في سائر الفنون.

٤ ـ كتب المذاهب الأربعة، وبالأخص كتب المذهب الحنبلي، وما ترجح بالدليل من غيره[(١)].

يقول الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب[(٢)]: (مذهبنا في أصول الدين: مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا: طريقة السلف، وهي أنّا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها.

ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة.

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد لدينا

---

(١) قال الشيخ محمد رحمه الله: (وأما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص لا نعمل به) انتهى من [الدرر السنية] (١/ ٦٥).

(٢) [الدرر السنية] (١/ ١٢٦).

يدعيها، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة ـ أخذنا به، وتركنا المذهب؛ كإرث الجد والإخوة، فإنا نقدم الجد بالإرث، وإن خالف مذهب الحنابلة.

ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، فلا مناقضة؛ لعدم دعوى الاجتهاد، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه.

ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أَجَلِّها لدينا [تفسير ابن جرير] ومختصره لابن كثير الشافعي، وكذا [البغوي] و[البيضاوي] و[الخازن] و[الحداد] و[الجلالين] وغيرهم.

وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كـ[العسقلاني] و[القسطلاني على البخاري] و[النووي

على شرح مسلم] و[المناوي على الجامع الصغير]، ونحرص على كتب الحديث، خصوصاً الأمهات الست، وشروحها، ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون؛ أصولاً، وفروعاً، وقواعد، وسيراً، ونحواً، وصرفاً، وجميع علوم الأمة.

هذا وعندنا: أن الإمام ابن القيم وشيخه ـ ابن تيمية ـ إماما حق من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعز الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهما في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمداً ﷺ، ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل، منها: طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس، فإنا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة).

٨ ـ ثمرات دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وآثارها:

إن كل دعوة من الدعوات، وكل عمل من الأعمال إنما تعرف قيمته من ثمراته المترتبة عليه، ومن أثره الذي

يتركه، وإن دعوة الشيخ ولله الحمد لما كانت دعوة خالصة لله، مترسمة منهج رسول الله ﷺ، معتمدة عليه، مستمدة علمها من الكتاب والسنة ـ صار لها أطيب الأثر، واستمر نفعها، وبقي أثرها، وأنتجت للأمة خيرات كثيرة منها:

١ ـ قيام دولة إسلامية، هي: دولة آل سعود، الذين آزروا هذه الدعوة، وجاهدوا في سبيلها، ولا تزال هذه الدولة ولله الحمد تحكم بشريعة الله، وتخدم الحرمين الشريفين، وتشد أزر المسلمين في كل مكان من بقاع العالم بعمارة المساجد والمراكز الإسلامية والتعليمية، وتنشر دعوة الإسلام.

٢ ـ تصحيح العقيدة الإسلامية مما علق بها من الشركيات والبدع والخرافات، وإرجاعها إلى منبعها الصافي من كتاب الله وسنة رسوله، وقد طَهَّر الله كل البلاد التي صار لهذه الدعوة المباركة فيها نفوذ وسلطة ـ من

جميع مظاهر الشرك والبدع والخرافات.

٣ ـ امتداد أثر هذه الدعوة المباركة خارج بلادها، حتى انتفع بها مَنْ هدفه الحق في مختلف بلدان العالم الإسلامي، في الشام، ومصر، والمغرب العربي، وأفريقيا، والسودان، واليمن، والعراق، والهند، والباكستان، وأندونيسيا، وغيرها.

٤ ـ وجود حركة علمية واعية متحررة من التقليد الأعمى، فانتشر التعليم في المساجد في مختلف مناطق البلاد، حتى تخرج فيه علماء أفذاذ في حياة الشيخ وبعدها، قاموا بنشر هذه الدعوة ورعايتها إلى يومنا هذا، ثم أسست لهذا التعليم جامعات إسلامية تخرج الأفواج تلو الأفواج من مختلف العالم الإسلامي، مسلحين بالعقيدة الصحيحة، والفكر السليم، ينتشرون في العالم الإسلامي وغيره للدعوة إلى الله.

٥ ـ نشاط حركة التأليف والنشر، فقد قَدَّم علماء هذه

الدعوة للأمة الإسلامية رصيداً من الكتب النافعة في الأصول والفروع، ومن ذلك:

أ - مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب إمام الدعوة، ويتكون مجموعها من اثني عشر مجلداً في الفقه والعقائد والتفسير والحديث والسيرة.

ب - مجموع الفتاوى والرسائل لعلماء الدعوة، ويتكون من أحد عشر مجلداً.

ج - كتب ألفها أئمة الدعوة في مختلف العصور للرد على خصوم الدعوة، وتبلغ العديد من المجلدات، وهي مطبوعة ومتداولة.

د - نشر كتب السلف وتوزيعها على المسلمين في موسم الحج وغيره.

هـ - نشر كل مفيد من المؤلفات العصرية وتوزيعها مجاناً.

٩ ـ الشبه التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله والرد عليها:

تعرضت دعوة الشيخ كغيرها من دعوات المصلحين للنقد من قبل خصومها، وأثيرت حولها شبهات، ربما تروج على من لم يعرف حقيقتها.

وقد أثير كثير من هذه الشبهات في حياة الشيخ، وَرَدَّ عليها بنفسه، وأثير البعض الآخر، أو بالأصح أعيدت إثارة نفس تلك الشبه بعد وفاته، فرد عليها تلامذته وغيرهم من محققي علماء المسلمين الذين لا يروج عليهم البهرج والكذب، ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

ومن هذه الشبه:

١ ـ قالوا: (إنه يبطل كتب المذاهب الأربعة، ويقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء).

٢ ـ وأنه يدعي الاجتهاد، وأنه خارج عن التقليد، وأنه يقول: (اختلاف العلماء نقمة).

٣ ـ قالوا: إنه يحرم زيارة قبر الرسول ﷺ وزيارة قبر الوالدين وغيرهما.

٤ ـ أنه يكفر من حلف بغير الله.

وقد أجاب الشيخ عن هذه بقوله[1]: (جوابي عن هذه المسائل: أني أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وقبله من بهت النبي ﷺ أنه يسب عيسى ابن مريم، ويسب الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب، وقول الزور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآية[2]، بهتوه ﷺ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾[3]).

انتهى.

---

(١) انظر [الدرر السنية] (١/ ٣١).

(٢) سورة النحل، الآية ١٠٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

٥ ـ **قالوا:** (إنه ينهى عن الصلاة على النبي ﷺ، وأنه يقول: لو أن لي أمراً هدمت قبة النبي ﷺ، وأنه يتكلم في الصالحين، وينهى عن محبتهم).

وقد أجاب الشيخ عن ذلك بقوله[١]: (هذا كذب وبهتان افتراه عليَّ الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل).

٦ ـ **قالوا:** (إنه يكفر جميع الناس إلا من اتبعه، وأن أنكحتهم غير صحيحة).

وقد أجاب الشيخ عن ذلك بقوله[٢]: فيا عجباً، كيف يدخل هذا في عقل عاقل، وهل يقول هذا مسلم؟! إني أبرأ إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا من مختل العقل، فاقد الإدراك، فقاتل الله أهل الأغراض الباطلة.

٧ ـ **قالوا:** (إنه يكفر بالعموم، ويوجب الهجرة إليه

---

(١) انظر [الدرر السنية] (١/ ٥٢).

(٢) المرجع السابق (١/ ٥٥).

على من قدر على إظهار دينه.

وقد أجاب الشيخ عن ذلك بقوله[١]: (كل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبدالقادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل[٢]؟!، سبحانك هذا بهتان عظيم).

٨ ـ قالوا: (إنه ينكر الشفاعة).

فرد الشيخ على ذلك بقوله[٣]: (ثم بعد هذا يُذكر لنا: أن عدوان الإسلام الذين ينفرون الناس عنه يزعمون أننا ننكر شفاعة الرسول ﷺ). فنقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ١٦﴾ بل نشهد أن رسول الله ﷺ الشافع المشفع،

---

(١) [الدرر السنية](١/ ٦٦).
(٢) يعني: لم يكفر المسلمين ويقاتلهم.
(٣) انظر [الدرر السنية](١/ ٤٦).

صاحب المقام المحمود، نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يشفعه فينا، وأن يحشرنا تحت لوائه، هذا اعتقادنا، وهذا الذي مشى عليه السلف الصالح من المهاجرين والأنصار، والتابعين، وتابع التابعين والأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين، وهم أحب الناس لنبيهم، وأعظمهم في اتباعه وشرعه، فإن كانوا يأتون عند قبره يطلبونه الشفاعة، فإن اجتماعهم حجة، والقائل: إنه يطلب منه الشفاعة بعد موته يورد علينا الدليل من كتاب الله، أو من سنة رسول الله ﷺ، أو من إجماع الأمة، والحق أحق أن يتبع) انتهى.

٩ ـ وأما اتهام الشيخ أنه يكفر بالعموم، ويقاتل المسلمين.

فقد أجاب عنه الشيخ بقوله[١]: (وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الرسول، ثم بعد ما عرفه سبه، ونهى

---

(١) انظر [الدرر السنية] (١/ ٥١).

عنه، وعادى من فعله ـ فهذا هو الذي أكفر، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك، وأما القتال: فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة، وهم الذين أتونا في ديارنا، ولا أبقوا ممكناً، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[1]، وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرف، فإنا نبين لكم أن هذا هو الحق الذي لا ريب فيه، وأن الواجب إشاعته في الناس وتعليمه الرجال والنساء، انتهى.

وقال أيضاً لما بَيَّن بطلان الذي يفعله القبوريون[2]: (فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم، وظفرنا بهم، وهو الذي ندعو الناس إليه، ونقاتلهم عليه بعدما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من

---

(١) سورة الشورى، الآية ٤٠.

(٢) [الدرر السنية](١/٥٨، ٥٩).

الأئمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(١).

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾(٢)) انتهى.

وقال ابنه الشيخ عبدالله بن محمد مجملاً هذه الشبه مع الرد عليها(٣):

(وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق، بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة شرح، ولا معول على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا: النبي رمة في

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٣٩.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٥.

(٣) [الدرر السنية](١/ ١٢٧-١٢٩).

قبره، وعصا أحدنا أنفع له منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل الله عليه: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] مع كون الآية مدنية، وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب؛ لكون فيها الحق والباطل، وأنا مجسمة، وأنا نكفر الناس على الإطلاق، أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه.

ومن فروع ذلك: أنا لا نقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبويه ماتا على الإشراك بالله، وأنا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً، وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون، وأنا لا نرى حقاً لأهل البيت رضوان الله عليهم، وأنا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم، وأنا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة

(١) سورة محمد، الآية ١٩.

لتنكح شاباً إذا ترافعوا علينا ـ فلا وجه لذلك .

فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استَفْهَمَنا عنها من ذكر أولاً ـ يعني : علماء مكة ـ كان جوابنا في كل مسألة من ذلك : سبحانك هذا بهتان عظيم .

فمن روى عنا شيئاً من ذلك ، أو نسبه إلينا ، فقد كذب علينا ، ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ما عندنا ـ علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه وافتراه علينا أعداء الدين ، وإخوان الشياطين ؛ تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة ، وترك أنواع الشرك الذي نص الله عليه بأن الله لا يغفره : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١) .

فإنا نعتقد : أن من فعل أنواعاً من الكبائر ؛ كقتل المسلم بغير حق ، والزنا ، وشرب الخمر ، وتكرر منه ذلك ـ أنه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الإسلام ، ولا يخلد به في

---

(١) سورة النساء ، الآية ١١٦ .

دار الانتقام إذا مات موحداً بجميع أنواع العبادة.

والذي نعتقده: أن رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه، وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، الواردة عنه ـ فقد فاز بسعادة الدارين، وكُفِيَ هَمُّه وغَمُّه، كما جاء في الحديث عنه، ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم بالحق، وأنهم على هدى من ربهم؛ مهما ساروا على الطريقة الشرعية، والقوانين المرعية، إلا أنهم لايستحقون شيئاً من أنواع العبادات، لا حال الحياة، ولا بعد الممات، بل يطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته، بل ومن كل مسلم، فقد جاء في

الحديث: «دعاء المسلم مستجاب لأخيه» الحديث[1]، وأمر ﷺ عمر وعلياً بسؤال الاستغفار من أويس ففعلا.

ونثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسب ما ورد، وكذلك نثبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسب ما ورد أيضاً.

ونسألها من المالك لها، والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها، كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعاً: اللهم شَفِّع نبينا محمداً ﷺ فينا يوم القيامة، اللهم شَفِّع فينا عبادك الصالحين، أو ملائكتك، أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم، فلا يقال: يا رسول الله، أو يا ولي الله، أسألك الشفاعة أو غيرها؛ كأدركني، أو أغثني، أو اشفني، أو انصرني على عدوي،

---

(١) رواه مسلم، ولفظه: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة» في الذكر، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب [صحيح مسلم] (٤/ ٢٠٩٤) رقم الحديث (٢٧٣٣) ورواه ابن ماجه في المناسك، باب فضل دعاء الحاج، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي (٢/ ٩٦٦، ٩٦٧) رقم الحديث (٢٨٩٥) ط/ دار إحياء التراث العربي.

ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فإذا طلب ذلك مما ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك، إذ لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة ولا أثر من السلف الصالح في ذلك، بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف: أن ذلك شرك أكبر، قاتل عليه رسول الله ﷺ) انتهى.

١٠ - بعض المؤلفات التي ألفت إجابة عن هذه الشبهات:

هذا وقد انبرى كثير من العلماء بعد وفاة الشيخ رحمه الله للإجابة عن هذه الشبهات، وألَّفوا في ذلك مؤلفات ضخمة من أشهرها:

١ - [مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسب إليه تكفير أهل الإسلام] في مجلد واحد، للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله.

٢ - [معارج القبول] في مجلد، للشيخ الحسين بن مهدي النعمي، من علماء اليمن.

٣ ـ [غاية الأماني في الرد على النبهاني] في مجلدين، للشيخ محمود شكري الألوسي من علماء العراق.

٤ ـ [صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان] في مجلد، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي.

وغير ذلك من الكتب التي أُلِّفت في الذب عن دعوة الشيخ حتى من غير المسلمين.

وهكذا يقيض الله سبحانه للحق أنصاراً في كل زمان تقوم بهم حجة الله على خلقه، فللّه الحمد والمنة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

رد أوهام أبي زهرة في حق
شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب
رحمهما الله

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد... فإنه كان من الواجب علينا احترام علمائنا في حدود المشروع، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال ﷺ:

(١) سورة المجادلة، الآية ١١.
(٢) سورة الزمر، الآية ٩.

«وإن العلماء ورثة الأنبياء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب» ولا سيما العلماء المجددون لدين الله، والدعاة المخلصون إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن - فكان حقهم علينا الاقتداء بهم، واحترامهم، والترحم عليهم، والدعاء لهم؛ لقاء ما قاموا به من الواجب، وما بينوه من الحق، وردوا من الباطل، إلا أننا نجد بدلاً من ذلك من بعض حملة الأقلام والمتطفلين على العلم والتأليف من يكيل التهم في حقهم، ويرميهم بما هم بريئون منه، ويحاول صرف الناس عن دعوتهم، بدافع الحقد، أو سوء الاعتقاد، أو الاعتماد على ما يقوله أعداؤهم وخصومهم.

ومن ذلك أني قد اطلعت على كتاب بعنوان [تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد، وتاريخ المذاهب الفقهية] للشيخ محمد أبي زهرة، تعرض فيه

لإمامين عظيمين، وداعيين إلى الله مخلصين، هما: شيخ الإسلام ابن تيمية، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله، ووجه ضدهما نفس التهم التي يروجها ويرددها أعداؤهما، المضلون في كل زمان، حيث تروعهم دعوة الإصلاح، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويريدون أن يبقى الناس في ظلام، ويعيشوا في ضلال؛ حتى يتسنى لخرافاتهم أن تروج. وما كان يليق بباحث يتحرى الحقيقة مثل الشيخ أبي زهرة أن يعتمد في حق هذين الإمامين الجليلين على كلام خصومهما، بل كان الواجب عليه وعلى كل باحث منصف: أن يرجع إلى كلام من يريد أن يقدم للناس معلومات عنه من كتبه، ويوثق ذلك بذكر اسم الكتاب المنقول عنه، مع ذكر الصفحة والسطر، حتى تحصل القناعة التامة من صحة ما يقول؛ لأننا والحمد لله في عصر قد وضعت فيه ضوابط

البحث العلمي، وأصبح لا يقبل فيه إطلاق القول على عواهنه من غير تقيد بتلك الضوابط، وفوق هذه الضوابط هناك وقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى وسؤال عما يقوله الإنسان ويكتبه في حق غيره من اتهام وكذب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[2].

إلا أن الشيخ أبا زهرة تجاهل ذلك كله ونسب إلى الشيخين الإمامين الجليلين: الشيخ تقي الدين ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ما لا يليق بمقامهما، وما يتنزهان عنه من التهم الباطلة، والتهجم السخيف؛ اعتماداً على ما يقوله عنهما خصومهما، وما يروجه المخرفون ضدهما، غير متقيد بضوابط البحث العلمي، ولا خائف

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٣٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية ٦.

من الوعيد الذي توعد الله به من أقدم على مثل هذا العمل.

وإليك بيان هذه التهم مع الرد عليها، سائلين الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

أولاً: ما نسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

١ - في صفحة (١٨٧) قال: (إنه أضاف إلى مذهب السلف أموراً أخرى قد بعثت إلى التفكير فيها).

أقول: هذا من الافتراء على شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه قد أحدث أموراً من عند نفسه، وزادها على مذهب السلف، وهو اتهام خطير قد برأ الله منه شيخ الإسلام، فإنه لم يزد شيئاً، ولم يخترع شيئاً من عند نفسه، وإنما دعا إلى مذهب السلف، وبينه ودافع عنه بأمانة وإخلاص.

يشهد لذلك أن ما في كتبه ورسائله يتطابق تمام التطابق

مع ما ذكره الأئمة قبله في كتبهم، وهو إنما ينقل كلامهم، ويعزوه إلى مصادره المعروفة من غير زيادة ولا نقصان. وأبو زهرة لم يذكر مثالاً واحداً يدل على صدق ما يقول.

٢ ـ **في صفحة (١٩٣) قال:** (وعلى ذلك يقرر ابن تيمية: أن مذهب السلف هو: إثبات كل ما جاء في القرآن الكريم من فوقية وتحتية واستواء على العرش ووجه ويد ومحبة وبغض، وما جاء في السنة من ذلك أيضاً من غير تأويل وبالظاهر الحرفي، فهل هذا هو مذهب السلف حقاً؟! ونقول في الإجابة عن ذلك: ـ والقائل أبو زهرة ـ لقد سبقه بهذا الحنابلة في القرن الرابع الهجري، كما بينا، وادعوا أن ذلك مذهب السلف.

وناقشهم العلماء في ذلك الوقت، وأثبتوا أنه يؤدي إلى التشبيه والجسمية لا محالة، وكيف لا يؤدي إليها والإشارة الحسية إليه جائزة؛ لهذا تصدى لهم الإمام الفقيه الحنبلي الخطيب ابن الجوزي، ونفى أن يكون ذلك

مذهب السلف، ونفى أيضاً أن يكون ذلك رأي الإمام أحمد) انتهى كلامه.

وفيه من الخلط والكذب ما لا يخفى، وبيان ذلك كما يلي:

أ - اتهم شيخ الإسلام ابن تيمية، واتهم معه الحنابلة بأنهم نسبوا إلى السلف ما لم يقولوه، ولم يعتقدوه في صفات الله تعالى.

وهذا اتهام ظاهر البطلان، فإن ما قاله الحنابلة، وقاله شيخ الإسلام موجود في كلام الأئمة الأربعة وغيرهم، وفي كتبهم. وقد نقل ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وعزاه إلى مصادره من كتبهم التي يوجد غالبها في أيدي الناس اليوم، وانظر على سبيل المثال ما ذكره عنهم في [الرسالة الحموية].

ب - اتهم الشيخ بأنه ينسب إلى السلف وصف الله بالتحتية، حيث قال: (يقرر ابن تيمية: أن مذهب السلف

هو: إثبات كل ما جاء في القرآن الكريم من فوقية وتحتية) وهذا كذب على القرآن الكريم وعلى الشيخ، فإنه لم يرد في القرآن ذكر التحتية في حق الله، تعالى الله عن ذلك؛ لأنها لا تليق به، ولم يقل الشيخ ذلك، ولم ينسبه إلى السلف، لكنه التخبط الأعمى، والتخليط العجيب من أبي زهرة.

ج - اتهم القرآن بأنه جاء بالتشبيه والتجسيم، وما لايليق بالله تعالى، واتهم السلف الصالح بأنهم لا يعتقدون ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من وصف الله بالفوقية والاستواء على العرش، وأن له يداً ووجهاً، وأنه يحب ويبغض؛ لأن ذلك بزعمه يؤدي إلى التشبيه والجسمية، وهذا معناه: أن القرآن جاء بالباطل، وأن السلف يخالفون الكتاب والسنة في أهم الأمور، وهو: العقيدة، فماذا بقي بعد ذلك؟! وما الذي يوافقون فيه الكتاب والسنة؟! ولم يذكر دليلاً على ذلك إلا ما نقله من

كلام ابن الجوزي، وكلام ابن الجوزي لا يحتج به من ناحيتين:

(١) أنه معروف باتجاهه المخالف لعقيدة السلف في الصفات، وكلام المخالف لا يحتج به على خصمه.

(٢) أن كلام أئمة السلف، ومنهم الإمام أحمد يبطل ما قاله ابن الجوزي، وكلامهم موجود ـ بحمد الله ـ في كتبهم المتداولة المعروفة التي نقل منها شيخ الإسلام ابن تيمية.

د ـ قال أبو زهرة: (وكيف لا يؤدي إليهما والإشارة الحسية إليه جائزة) يعني: كيف لا يؤدي إثبات ما دل عليه الكتاب والسنة من صفات الله إلى التشبيه والتجسيم، وقد جاء في الحديث أن الله يشار إليه بالأصبع في جهة العلو، كما أشار إليه أعلم الخلق به ﷺ في خطبته في حجة الوداع.

وهذا بزعم أبي زهرة يؤدي إلى التشبيه والتجسيم، فهو

باطل، وهذا مصادمة للحديث الصحيح بسبب توهم باطل. فإن الإشارة إلى الله سبحانه في جهة العلو ووصفه بما ثبت في الكتاب والسنة من صفات الكمال لا يؤديان إلى التشبيه؛ لأن الله ليس كمثله شيء، فله صفات تخصه لا يشاركه فيها أحد، وأما لفظ التجسيم فهو لفظ محدث لم يرد نفيه ولا إثباته في حق الله تعالى، ولم يتكلم فيه السلف، وإنما ورد في الكتاب والسنة تنزيه الله عن التشبيه والتمثيل، وهو الذي ينفيه السلف عن الله تعالى.

٣ - ينسب التفويض إلى شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول في صفحة (١٩٥): (أن هذا يؤدي عند ابن تيمية إلى أن الأسلم هو: التفويض الذي يدعيه وينسبه إلى السلف الصالح، فيأخذ الألفاظ بظواهرها الحرفية، ويطلقها على معانيها الظاهرة في أصل الدلالة، ولكنه يقرر أنها ليست كالحوادث، ويفوض فيما بعد ذلك ولا يفسر، ويقول: إن محاولة التفسير زيغ، فابن تيمية يعتقد أنه بهذا يجمع

بين التفسير والتفويض، فهو يفسر بالمعنى الظاهر، وينزه عن الحوادث، ويفوض في الكيف والوصف) انتهى المقصود من كلامه.

وهو كما ترى فيه من الخلط والركاكة والكذب على الشيخ الشيء الكثير، وهو بين أمرين: إما أنه لم يفهم كلام الشيخ، وإما أنه يفهمه لكنه يحاول الالتواء والتلبيس، فإن الشيخ رحمه الله يقرر في سائر كتبه: أن مذهب السلف:ـ وهو المذهب الذي يعتقده ويدين الله به، وكل مريد للحق يعتقده ويدين به ـ أن نصوص الصفات تجرى على ظواهرها، وتفسر بمعناها الذي تدل عليه ألفاظها من غير تأويل ولا تحريف، وأما كيفيتها فيجب تفويضها إلى الله سبحانه؛ لأنه لا يعلمها إلا هو، وهذا هو الذي يقرره علماء السلف في كتبهم، وفيما يروى عنهم بالأسانيد الصحيحة: أن المعنى معلوم، والكيف مجهول في كل الصفات.

فالتفويض إنما هو للكيفية، وأما المعاني فهي معلومة مفسرة لا تفويض فيها ولا غموض، ولا يلزم من إثبات صفات الله بالمعاني التي دلت عليها النصوص تشبيه الله بخلقه؛ لأن لله صفات تخصه وتليق به، وللمخلوقين صفات تخصهم وتليق بهم، ولا يلزم من الاشتراك في المعنى الكلي الموجود في الأذهان بين صفات الله وصفات خلقه الاشتراك في الحقيقة والكيفية الخارجية، وقد أثبت الله لنفسه تلك الصفات، ونفى عن نفسه المماثلة والمشابهة للمخلوقات، فقال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١].

فأثبت له السمع والبصر، ونفى عنه أن يماثله شيء، وهكذا سائر الصفات، فدل على أن إثبات الصفات لا يلزم منه التشبيه، كما يقوله أبو زهرة وأضرابه.

ومن العجب أن يحتج على بطلان ما ذكره شيخ

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

الإسلام من إثبات صفات الله على ما يليق به سبحانه بمخالفة الغزالي، والماتوريدي، وابن الجوزي له. ويرجح مذهبهم، فيقول: (ولذلك نحن نرجح منهاج الماتوريدي ومنهاج ابن الجوزي ومنهاج الغزالي).

هكذا يرغب أبو زهرة عن مذهب السلف إلى مذهب هؤلاء - وللناس فيما يعشقون مذاهب - لكنه استبدل الباطل بالحق، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[1].

٤ - ينسب القول بالمجاز إلى الصحابة، فيقول: (إن الصحابة كانوا يفسرون بالمجاز إن تعذر إطلاق الحقيقة، كما يفسرون بالحقيقة في ذاتها) هكذا قال في حق الصحابة، ينسب إليهم القول بالمجاز في تفسير كلام الله، وأنهم يتركون الحقيقة، وكأنه بهذا يريد أن ينسب إلى الصحابة نفي الصفات، وحمل نصوصها على خلاف

---

(١) سورة الكهف، الآية ٥٠.

الحقيقة.

وكفى بهذا تقولاً على صحابة رسول الله ﷺ بدون دليل ولا برهان، لكنه الهوى والانتصار للباطل.

وهذا تجاوز من اتهام ابن تيمية إلى اتهام الصحابة بما هم بريئون منه، فإنه لم يعرف المجاز إلا متأخراً أحدثه الأعاجم الذين ليسوا حجة في اللغة والتفسير.

٥ - في صفحة (١٩٩) نسب إلى الشيخ القول: بأن الله لا ييسر الإنسان لفعل الشر. حيث قال: (وبهذا يقرر ابن تيمية ثلاثة أمور: ثالثها: أن الله تعالى يُيَسِّر فعل الخير ويرضاه ويحبه، ولا يُيَسِّر فعل الشر ولا يحبه، وهو في هذا يفترق عن المعتزلة) كذا قال.

وهذا كذب على الشيخ؛ لأنه كغيره من أئمة الهدى يرون أن الله قدر الخير والشر، وأنه لا يجري في ملكه ما لا يريد، فالشر يجري على العبد بسبب تصرفاته السيئة وهو من قبل الله تعالى قدراً، وبإرادته الكونية، قال

تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[١]، وقال النبي ﷺ: **« اعملوا فكل ميسر لما خلق له »**

٦ - في صفحة (١٩٩، ٢٠٠) يقول: (أما ابن تيمية فيرى أنه لا تلازم بين الأمر والإرادة. فالله سبحانه وتعالى يريد الطاعات ويأمر بها، ولا يريد المعاصي التي تقع من بني آدم وينهى عنها، وإرادته للمعاصي من ناحية إرادة أسبابها) انتهى.

وأقول: في هذا الذي نسبه إلى الشيخ إجمال ينبغي تفصيله:

فقوله: (لا تلازم بين الأمر والإرادة).

الصواب: أن يقال: لا تلازم بين الأمر الشرعي والإرادة الكونية، فقد يأمر شرعاً بما لا يريده كوناً، مثل: الإيمان من الكافر، وقد يريد كوناً ما لا يأمر به شرعاً،

---

(١) سورة الليل، الآيات ٨ ـ ١٠.

مثل: الكفر والمعاصي؛ وذلك لأن الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية، والأمر ينقسم إلى قسمين: أمر كوني، وأمر شرعي، فالإرادة الكونية والأمر الكوني ليس من لازمهما المحبة والرضا، وأما الإرادة الشرعية والأمر الشرعي فمن لازمهما المحبة والرضا، وهذا التقسيم هو الذي يتمشى مع منهج الشيخ الذي هو منهج السلف المبني على أدلة الكتاب والسنة، فالله لا يأمر بالمعاصي ولا يريدها ولا يرضاها شرعاً، لكنه أرادها وأمر بها كوناً وقدراً؛ لأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[1] أي: أمرناهم بذلك كوناً وقدراً، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[2]، ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ

(١) سورة الإسراء، الآية ١٦.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤١.

رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾[1].

٧ - في صفحة (٢٠١) يختم أبو زهرة مباحثه حول القدر بقوله: (هذه نظرات ابن تيمية في مسائل الجبر والاختيار، وتعليل أفعال الله سبحانه وتعالى، وهو يسند دائماً ما يراه إلى السلف الصالح من الصحابة والتابعين) انتهى.

وكأنه بهذا التعبير يتهم الشيخ في أنه ينسب إلى السلف بمجرد رأيه ما ليس من مذهبهم. وهذه التهمة يبطلها الواقع. فإن الشيخ رحمه الله لم ينسب إلى السلف إلا ما هو موجود في كتبهم، وما ثبتت روايته عنهم، والشيخ أتقى لله من أن يتقول على السلف ما لم يقولوه، لكن أبا زهرة لم يراجع كتب الشيخ، أو أنه يتعمد التلبيس.

٨ - في الصفحات: (٢٠٢ - ٢٠٦) لما ذكر كلام الشيخ في منع التوسل بالأموات، والاستغاثة بهم، ومنع

---

(١) سورة هود، الآية ٣٤.

زيارة القبور لقصد التبرك بها، وطلب الحاجات من الموتى، ومنع السفر لزيارتها ـ قال بعد ذلك: (ولقد خالف ابن تيمية بقوله هذا جمهور المسلمين، بل تحداهم في عنف بالنسبة لزيارة قبر المصطفى ﷺ).

ونحن نوافق إلى حد ما على قوله في زيارة قبور الصالحين، والنذر لها، ولكن نخالفه مخالفة تامة في زيارة الروضة الشريفة؛ وذلك لأن الأساس الذي بني عليه منع زيارة الروضة الشريفة بقصد التبرك والتيمن ـ هو: خشية الوثنية، وإن ذلك خوف من غير مخاف، فإنه إذا كان في ذلك تقديس لمحمد فهو تقديس لنبي الوحدانية، وتقديس نبي الوحدانية إحياء لها، إذ هو تقديس للمعاني التي بعث بها.

إلى أن قال: (وإن الحديث الذي رواه ابن تيمية وغيره وهو: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**» يدل على

شرف المسجد الذي دفن بجواره، وقد دفن ببيت عائشة الذي كان أقرب بيوت أزواجه إليه، وقد كان متصلاً بالمسجد، وأنه لو أريد منع زيارة قبره لدفن في مكان بعيد كالبقيع).

ثم قال: (وبعد: فإننا نقرر أن التبرك بزيارة قبر النبي ﷺ مستحسن، وليس التقرب الذي نقصده عبادة أو قريباً منها، إنما التبرك هو التذكر والاعتبار والاستبصار).

انتهى المقصود من كلامه، وهو يدل على ما عنده من جهل وتخليط وتخبط.

وأقول في بيان ذلك ما يلي:

أ ـ قوله: (ولقد خالف ابن تيمية بقوله هذا ـ يعني: منع التوسل بالموتى والتبرك بالقبور والاستغاثة بالموتىٰ ـ خالف جمهور المسلمين).

والجواب: أن الشيخ رحمه الله قد وافق في قوله هذا إجماع المسلمين، فلم يخالفه واحد منهم، ونعني

بالمسلمين: أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة، ومن تبعهم بإحسان، وإنما خالفه بعض من جاء بعدهم من المخرفين والقبوريين، وهؤلاء لا يعتد بخلافهم، وليسوا جمهور المسلمين، وإن سماهم هو بذلك، فالعبرة بالحقائق لا بالتسميات، وإنما هم من الشواذ المنتسبين إلى الإسلام.

ب ـ قوله: (ونحن نوافق إلى حَدٍّ ما على قوله في زيارة قبور الصالحين والنذر لها) معناه: أنه لا يوافق موافقة تامة على منع زيارة قبور الصالحين للتبرك بها، والاستغاثة بأصحابها، والنذر لها، وهذا يدل على أنه يسمح بشيء من ذلك مع أنه عبادة لغير الله وشرك أكبر، ولا يخفى ما في هذا من التساهل في شأن الشرك وعدم اهتمامه بالعقيدة.

ج ـ وقوله: ولكن نخالفه مخالفة تامة في زيارة الروضة الشريفة؛ وذلك لأن الأساس الذي بني عليه منع

زيارة الروضة الشريفة بقصد التبرك والتيمن هو: خشية الوثنية، وأن ذلك خوف من غير مخاف، فإنه إذا كان في ذلك تقديس لمحمد فهو تقديس لنبي الوحدانية، وتقديس نبي الوحدانية إحياء لها).

والجواب عن ذلك أن نقول:

أولاً: الشيخ رحمه الله لا يمنع زيارة الروضة الشريفة بقصد الصلاة فيها، فنسبة المنع إليه غير صحيحة، بل هو يرى استحباب ذلك كغيره من علماء المسلمين؛ عملاً بالسنة الصحيحة.

ثانياً: زيارة الروضة الشريفة إنما القصد منها شرعاً هو الصلاة فيها؛ لقوله ﷺ: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»** وليس القصد من زيارتها التبرك والتيمن بها وتقديس محمد ﷺ، كما يزعم أبو زهرة؛ لأن هذا مقصد شركي أو بدعي.

ثالثاً: التقديس قد يكون غلواً ممنوعاً. ومحمد ﷺ

حقه علينا المحبة والمتابعة والعمل بشرعه، وترك ما نهى عنه، وقد نهى ﷺ عن إطرائه، وهو: المبالغة في مدحه، ولما قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: **«أجعلتني لله نداً، قل: ما شاء الله وحده»** وليس تقديس المخلوق تقديساً لله كما يقول: بل قد يكون شركاً بالله عز وجل إذا تجاوز الحد.

د ـ وقوله: إن حديث: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** يدل على شرف المسجد الذي دفن بجواره.

الجواب عنه: أن شرف المسجد النبوي ليس من أجل كون قبر النبي ﷺ بجواره، فإن فضله ثابت قبل دفن النبي ﷺ بجواره؛ لأنه أول مسجد أسس على التقوى، ولأنه مسجد الرسول ﷺ، كما في قوله ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة»** ولم يقل بعد موتي. والمساجد الثلاثة فضلت على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء، لا من أجل القبور أو مجاورة القبور، بل لأنها

أسست على التوحيد والطاعة، لا على الشرك والخرافة.

هـ- قوله: (وقد دفن ـ يعني: النبي ﷺ ـ ببيت عائشة الذي كان أقرب بيوت أزواجه إليه ـ يعني: المسجد ـ وقد كان متصلاً بالمسجد، وأنه لو أريد منع زيارة قبره لدفن في مكان بعيد من المسجد كالبقيع).

الجواب عنه:

أولاً: أن هذا كلام من لا يعرف ماجاء في السنة من الأحاديث الموضحة لملابسات دفنه ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها، وما هو القصد من ذلك، فإنه ﷺ لما مرض استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها؛ لمحبته لها، ومحبة قربها منه، وتمريضها له. فأذن له في ذلك، ولما توفي ﷺ دفن في المكان الذي توفي فيه؛ لأن الأنبياء يدفنون حيث يموتون، كما جاء في الحديث، والقصد من ذلك خشية أن يفتتن بقبره ﷺ لو دفن في مكان بارز فيتخذ مسجداً، وعيداً مكانياً، وقد كان

ﷺ يحذر من ذلك فيقول: «لا تتخذوا قبري عيداً» ويقول: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» وقد روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها. فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

هذا هو القصد من دفنه ﷺ في حجرة عائشة، وهو حماية التوحيد، وحماية قبره أن يتخذ مسجداً، وليس القصد ما توهمه الخرافيون، أنه دفن في بيت عائشة لأجل القرب من المسجد، والتبرك بقبره ﷺ، فقد كان يحذر من اتخاذ القبور مساجد، والتبرك بها، ومن بناء المساجد على القبور؛ لأن هذا من وسائل الشرك. فدفنه ﷺ في بيته لمنع هذه الأشياء أن تمارس عند قبره.

ثانياً: زيارة قبره ﷺ الزيارة الشرعية ليست ممنوعة،

بل هي مستحبة كزيارة قبر غيره إذا كان ذلك بدون سفر، وكان القصد السلام عليه، والدعاء له ﷺ.

ثالثاً: قوله: (وإنه لو أريد منع زيارة قبره لدفن في مكان بعيد عن المسجد كالبقيع).

أقول: معنى هذا الكلام: أنه ﷺ دفن في حجرة عائشة لأجل أن يزار ويتبرك بقبره على حد قوله، وهذا فهم يخالف ما جاء في الحديث الصحيح الذي تقدم ذكره، وهو أنه دفن في بيته لمنع أن يتخذ قبره مسجداً، ثم إن دفنه في البقيع أمكن لزيارة قبره والتبرك به من دفنه في بيته. عكس ما يقوله أبو زهرة، فلوكان ما يقوله مشروعاً لدفن في البقيع؛ لتمكين الناس من هذه المقاصد التي قالها.

و ـ قوله: (وأنا لنعجب من استنكاره لزيارة الروضة للتيمن والاستئناس، مع ما رواه عن الأئمة الأعلام من تسليمهم على النبي ﷺ كلما مروا بقبره الشريف، وكانوا

يذهبون إليه كلما هموا بسفر، أو أقبلوا من سفر).

الجواب عنه أن نقول:

أولاً: لا عجب فيما ذكرت؛ لأن استنكار ذلك هو الحق، فإن زيارة الروضة للتبرك والتيمن مقصد شركي بدعي لم يشرعه رسول الله ﷺ، وإنما شرع زيارتها للصلاة فيها وعبادة الله فيها.

ثانياً: (وأما قوله: إن الأئمة الأعلام يسلمون على النبي ﷺ كلما مروا بقبره أو هَمُّوا بسفرة) فهو قول لا أصل له، ولا دليل عليه، ولم يروه الشيخ عنهم، وإنما روى عنهم خلافه، وهو أنهم لم يكونوا يترددون على قبر النبي ﷺ كلما دخلوا المسجد؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن ذلك فقال: «لا تتخذوا قبري عيداً» أي: لا تترددوا عليه وتجتمعوا حوله. وإنما كانوا يسلمون عليه إذا قدموا من سفر، كما كان ابن عمر يفعل ذلك إذا قدم من سفر، ولا يزيد على قوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك

يا أبا بكر، السلام عليك يا أبي، ثم ينصرف، ثم ما علاقة التسليم على الرسول بالروضة؛ لأن الروضة في المسجد وقبر الرسول ﷺ كان خارج مسجده في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

ز ـ وقوله: (وبعد: فإننا نقرر: أن التبرك بزيارة قبر النبي ﷺ مستحسن، وليس التبرك الذي نقصده عبادة أو قريباً منها، إنما التبرك هو التذكر والاعتبار، والاستبصار).

والجواب عن ذلك أن نقول:

أولاً: التبرك بقبر النبي ﷺ وغيره من البقاع والأشجار والأحجار ـ أمر مستقبح، وليس مستحسناً، إلا عند الجهال والقبوريين، وهو شرك بالله؛ لكونه تعلق على غير الله، وطلب للبركة من غيره، ولما رأى بعض الصحابة وكانوا حدثاء عهد بالإسلام: أن المشركين يتبركون بشجرة، وطلبوا من النبي ﷺ أن يجعل لهم شجرة مثلها

يتبركون بها ـ استنكر النبي ﷺ ذلك استنكاراً شديداً، وقال: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: إنكم قوم تجهلون**» فدل هذا الحديث على أن من تبرك بشجرة أو حجر أو قبر أو بقعة ـ فقد أشرك بالله، واتخذ المتبرك به إلهاً، هذا إن كان يقصد التبرك بذات القبر.

ثانياً: وأما قوله: (وليس التبرك الذي نقصده عبادة أو قريباً منها، إنما التبرك هو التذكر والاعتبار والاستبصار).

والجواب عنه: أن هذا من جهله بمعنى العبادة، وعدم تفريقه بين التبرك وبين التذكر والاعتبار، أو هو يتجاهل ذلك من أجل التلبيس على الناس. فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال، ومنها: الرغبة والرهبة والرجاء، ومنها: التبرك، وهو: طلب البركة، ويكون بأسمائه سبحانه، فالتبرك بغير الله شرك، إلا التبرك بشعر النبي ﷺ ووضوئه، فهذا خاص به ﷺ؛

لأن الله جعله مباركاً، ولا يمكن ذلك إلا في حال حياته ووجوده، ولم يكن الصحابة يتبركون بمنبره، ولا بقبره، ولا حجرته، وهم خير القرون، وأعلم الأمة بما يحل وما يحرم، فلو كان جائزاً لفعلوه.

وبعد أن انتهينا من رد ما نسبه إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ننتقل إلى رد ما نسبه إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب فنقول:

ثانياً: ما نسبه إلى شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

١ ـ اعتبر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب نحلةً ومذهباً محدثاً مستقلاً، أطلق عليه لفظ الوهابية، وعَدَّه من جملة المذاهب الضالة التي أدرجها تحت عنوان: (مذاهب حديثة) وهي: الوهابية، والبهائية، والقاديانية.

ومن المعلوم وواقع دعوة الشيخ: أنه ليس صاحب مذهب جديد، وإنما هو في العقيدة على مذهب السلف

أهل السنة والجماعة، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ولم يستقل ولا بمسألة واحدة عن هؤلاء، فكيف يعتبره أبو زهرة صاحب مذهب جديد، ويدرجه ضمن المذاهب الضالة الكفرية والنحل الفاسدة؟! قاتل الله الجهل والهوى والتقليد الأعمى، وإذا كان هو يعيب على الوهابية ما توهمه من تكفيرهم للناس فكيف يبيح لنفسه هذا الذي عابه على غيره؟!

٢ ـ ثم قال: (ومنشيء الوهابية هو: محمد بن عبدالوهاب، وقد درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره، وتعمق فيها، وأخرجها من حيز النظر إلى حيز العمل).

هكذا قال عن مرتبة الشيخ محمد بن عبدالوهاب العلمية: أنه لم يدرس إلا مؤلفات ابن تيمية، وكأنه لم يقرأ ترجمة الشيخ وسيرته، ولم يعرف شيئاً عن تحصيله العلمي، أو أنه عرف ذلك وكتمه بقصد التقليل من شأنه،

والتغرير بمن لم يعرف شيئاً عن الشيخ، ولكن هذا لا يستر الحقيقة، ولا يحجب الشمس في رابعة النهار.

فقد كتب المنصفون عن الشيخ رحمه الله مؤلفات كثيرة، انتشرت في الأقطار، وعرفها الخاص والعام، وأنه رحمه الله تعمق في دراسة الفقه والتفسير والحديث والأصول، وكتب العقيدة التي من جملتها مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم.

وقد تخرج على أيدي علماء أفذاذ وأئمة كبار في مختلف الفنون؛ في بلاد نجد، والحجاز، والأحساء، والبصرة. وقد أجازوه في مروياتهم وعلومهم، وقد ناظر ودرس وأفتى وألف في الفقه والحديث والعقيدة، حتى نال إعجاب من اجتمع به أو استمع إلى دروسه ومناظراته أو قرأ شيئاً من مؤلفاته، ومؤلفاته تدل على سعة أفقه، وإدراكه في علوم الشريعة، وسعة اطلاعه وفهمه. ولم يقتصر فيما ذكر في تلك المؤلفات على كتب ابن تيمية ـ

كما يظن هذا الجاهل أو المتجاهل ـ بل كان ينقل آراء الأئمة الكبار في الفقه والتفسير والحديث، مما يدل على تبحره في العلوم، وعمق فهمه، ونافذ بصيرته، وهاهي كتبه المطبوعة المتداولة شاهدة بذلك، والحمد لله. ولم يكن رحمه الله يأخذ من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية ولا من آراء غيره إلا ما ترجح لديه بالدليل، بل لقد خالف شيخ الإسلام في بعض الآراء الفقهية.

٣ ـ ثم قال عمن أسماهم بالوهابية: (وإنهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد. ورتبوا أموراً علمية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية؛ لأنها لم تشتهر في عهده.

ويتلخص ذلك فيما يأتي:

(١) لم يكتفوا بجعل العبادة، كما قررها الإسلام في القرآن والسنة، وكما ذكر ابن تيمية، بل أرادوا أن تكون العبادات أيضاً غير خارجة على نطاق الإسلام فيلتزم

المسلمون ما التزم[1]؛ ولذا حرموا الدخان، وشددوا في التحريم، حتى أن العامة منهم يعتبرون المدخن كالمشرك، فكانوا يشبهون الخوارج الذين كانوا يكفرون مرتكب الذنب.

(٢) وكانوا في أول أمرهم يحرمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها، ولكن يظهر أنهم تساهلوا فيها فيما بعد.

(٣) إن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة، بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم، باعتبار أنهم يحاربون البدع. وهي منكر تجب محاربته، ويجب الأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) أنها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً.

(٥) أنهم تعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية، ولا ما

---

(١) كذا قال، والعبارة ركيكة متناقضة.

يؤدي إلى وثنية، وأعلنوا استنكارها، مثل: التصوير الفوتوغرافي؛ ولذلك وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي كتبها علماؤهم.

(٦) أنهم توسعوا في معنى البدعة توسعاً غريباً، حتى أنهم ليزعمون أن وضع الستائر على الروضة الشريفة أمر بدعي؛ ولذلك منعوا تجديد الستائر عليها).

إلى أن قال: (وإننا لنجد فوق ذلك منهم من يعد قول المسلم: سيدنا محمد بدعة لا تجوز، ويغلون في ذلك غلواً شديداً).

إلى أن قال: (وإنه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب، بل إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية) انتهى ما قاله في حق من سماهم الوهابية.

ويظهر أنه قد امتلأ صدره غلاً وحقداً وغيظاً عليهم،

فتنفس الصعداء بإفراغ بعض ما عنده، والله سبحانه عند لسان كل قائل وقلبه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[1].

وجوابنا عن ذلك من وجوه:

الوجه الأول: قوله: (إنهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية) معناه: أن ابن تيمية في نظره جاء بعقائد ابتدعها من عنده، وأن الوهابية اعتبروه مشرعاً، وقد سبق الجواب عن هذه الفرية.

وبينا أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يبتدع شيئاً من عنده، بل كان على عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة، لم يستحدث شيئاً من عنده، وإننا نتحدى كل من يقول مثل هذه المقالة الظالمة أن يبرز لنا مسألة واحدة خالف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية من سبقه من سلف الأمة، غاية ما في الأمر أنه جدد عقيدة

(١) سورة ق، الآية ١٨.

السلف، ونشرها، وأحياها بعد ما اندرست ونسيها الكثيرون.

ونقول أيضاً: إن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وغيره من أئمة الدعوة ـ لم يقتصروا على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، بل استفادوا منها ومن غيرها من الكتب السليمة المفيدة المتمشية على منهج السلف. يعرف هذا من طالع كتبهم.

الوجه الثاني: أن قوله: (لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الإسلام في القرآن والسنة) فرية عظيمة، واتهام خطير لعلماء دعوة التوحيد في نجد بأنهم ابتدعوا عبادات لم يشرعها الله ورسوله، ولكن الله فضحه، وبين كذبه، حيث لم يجد مثالاً لما قال إلا تحريم الدخان، وهذا مما يدل على جهله، فإن تحريم الدخان ليس من قسم العبادات، وإنما هو من قسم الأطعمة والحلال والحرام، وأيضاً فإن تحريم الدخان لم يختص به علماء الدعوة في

نجد، بل حرمه غيرهم من علماء الأمة؛ لخبثه وضرره. وها هي الآن تقام أنشطة مكثفة للتحذير من شرب الدخان، وتوعية الناس بأضراره، من قبل المنظمات الصحية العالمية.

وقوله: (حتى إن العامة منهم يعتبرون المدخن كالمشرك).

هذه فرية أخرى، ولو صح أن أحداً من العامة حصل منه ذلك، فالعامي ليس بحجة يعاب به أهل العلم، ولكن عوام أهل نجد - والحمد لله - يعرفون من الحق أكثر مما يعرفه علماء الضلال، يعرفون ما هو الشرك، وما هو المحرم الذي لا يعد شركاً، بما يقرؤون وما يسمعون من دروس التوحيد، وكتب العقائد الصحيحة.

الوجه الثالث: قوله: (كانوا في أول أمرهم يحرمون القهوة وما يماثلها).

نقول: هذا كذب ظاهر، ولم يأت بما يثبت ما يقول،

وما زال علماء نجد وعامتهم يشربون القهوة في مختلف العصور. وهذه كتبهم وفتاواهم ليس فيها شيء يؤيد ما يقوله، بل فيها ما يكذبه، فإن الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله أنكر على من قال بتحريم القهوة، ورد عليه، وله في ذلك رسالة مطبوعة مشهورة.

الوجه الرابع: قوله: (إن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة، بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع).

أقول: أولاً: قوله: (إن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة يدل على جهله، فإن الدعوة المجردة لا تكفي، مع القدرة على مجاهدة أعداء الإسلام؛ لأن الرسول ﷺ جاء بالدعوة والجهاد في سبيل الله).

ثانياً: قوله: إنهم حملوا السيف لمحاربة من خالفهم.

هذا كذب عليهم، فإنهم لم يحاربوا خصومهم لمجرد مخالفتهم، بل حاربوهم لأحد أمرين: إما للدفاع عن

أنفسهم إذا اعتدى عليهم أحد، وإما لأجل إزالة الشرك إذا احتاجت إزالته إلى قتال، وتاريخ غزواتهم شاهد بذلك، وهو مطبوع متداول في أكثر من كتاب.

الوجه الخامس: قوله: (إنها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً).

أقول: هذا من فضائلهم، وإن عده هو وأضرابه من معائبهم؛ لأنهم ينفذون بذلك وصية رسول الله ﷺ بقوله لعلي رضي الله عنه: «**لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته**» فأي عيب في ذلك إذا أزالوا مظاهر الوثنية، وعملوا بالسنة النبوية، ولكن أهل الجهل والضلال لا يعلمون فيعتقدون الحسن قبيحاً، والقبيح حسناً، والمنكر معروفاً، والمعروف منكراً، وقد تكاثرت الأدلة على تحريم البناء على القبور؛ لأن ذلك من وسائل الشرك. فلابد من هدم الأضرحة، وإزالة مظاهر الوثنية، وإن غضب أبو زهرة وأضرابه ممن يرون بقاء الأضرحة التي هي منابت الوثنية

وأوكارها.

الوجه السادس: قوله: (إنهم تعلقوا بأمور صغيرة) ثم مثل لذلك: بتحريم التصوير الفوتوغرافي.

والجواب عن ذلك: أولاً: أن التصوير ليس من الأمور الصغيرة، بل هو من كبائر الذنوب؛ للأحاديث الصحيحة في النهي عنه، والتحذير منه، ولعن المصورين، والإخبار بأنهم أشد الناس عذاباً يوم القيامة، من غير تفريق بين التصوير الفوتوغرافي وغيره، ومن فرق فعليه الدليل، والمحذور في التصوير والتعليل الذي حرم من أجله متحققان في جميع أنواع الصور: فوتوغرافية أو غيرها.

وثانياً: قوله: (إن التصوير لا يؤدي إلى وثنية) قول مردود؛ لأن التصوير من أعظم الوسائل التي تؤدي إلى الوثنية، كما حصل لقوم نوح لما صوروا الصالحين، وعلقوا صورهم على مجالسهم، وآل بهم الأمر إلى أن عبدوا تلك الصور، كما ورد ذلك في [صحيح البخاري]

وغيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ۝٢٣﴾[1].

الوجه السابع: قوله: (إنهم توسعوا في معنى البدعة توسعاً غريباً، حتى أنهم ليزعمون أن وضع ستائر على الروضة الشريفة أمر بدعي؛ ولذلك منعوا تجديد الستائر عليها).

والجواب عن ذلك أن نقول:

أولاً: هو لا يدري ما هي الروضة الشريفة، فيظن أنها الحجرة النبوية، وليس الأمر كذلك، فالروضة في المسجد، وهي: ما بين منبر النبي ﷺ وبيته؛ لقوله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» والحجرة النبوية خارج الروضة، وكانت خارج المسجد قبل التوسعة.

ثانياً: الروضة لا يمكن وضع ستائر عليها، ولا

---

(١) سورة نوح، الآية ٢٣.

يتصور، وإنما يقصد الحجرة النبوية، يريد أن تجعل مثل الأضرحة القبورية، فتجعل عليها الستور، كما على الأضرحة، وهذا لا يجوز.

أولاً: لأنه لم يكن من عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة، فلم يكن عليها ستائر في وقتهم.

وثانياً: لأنه وسيلة إلى الشرك، بل ستر سائر الحيطان إسراف لا ينبغي فعله، غير الكعبة المشرفة.

قال في [المغني][1]: (فأما ستر الحيطان بستور غير مصورة؛ فإن كان لحاجة من وقاية حَرٍّ أو برد فلا بأس به؛ لأنه يستعمله في حاجته، فأشبه السِّتْرَ على الباب، وما يلبسه على بدنه، وإن كان لغير حاجة فهو مكروه، وعُذْرٌ في الرجوع عن الدعوة - يعني: إلى الوليمة - وترك

---

(١) [المغني] لموفق الدين ابن قدامة المقدسي، تحقيق/ د. عبدالله التركي، ود. عبدالفتاح الحلو (١٠/ ٢٠٣ - ٢٠٥) هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤١٠هـ.

الإجابة. بدليل: ما روى سالم بن عبدالله بن عمر قال: أَعْرَسْتُ في عهد أبي أيوب، فآذَنَ أبي النَّاسَ، فكان أبو أيوب فيمن آذنَّا، وقد ستروا بيتي بِنِجَاد أخضر، فأقبل أبو أيوب مسرعاً، فاطلع، فرأى البيت مستتراً بِنِجَاد أخضر، فقال: يا عبدالله، أتسترون الجُدُرَ؟ فقال أبي - واستحيى -: غلبتنا النساء يا أبا أيوب، فقال: من خَشِيتُ أن يَغْلِبْنهُ النساء، فلم أخش أن يَغْلِبْنَكَ، ثم قال: لا أطعم لكم طعاماً، ولا أدخل لكم بيتاً، ثم خرج. رواه الأثرم.

وروي عن عبدالله بن يزيد الخطمي: أنه دعي إلى طعام، فرأى البيت مُنَجَّداً، فقعد خارجاً وبكى، قيل له: ما يبكيك؟ قال: إن رسول الله ﷺ رأى رجلاً قد رَقَّع بردة له بقطعة أَدَمٍ، فقال: «تَطَالَعتْ عليكم الدنيا» - ثلاثاً - ثم قال: «أنتم اليومَ خيرٌ أم إذا غدت عليكم قَصْعَةٌ، وراحت أخرى، ويغدو أحدكم في حُلَّةٍ، ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم كما تُستَرَ الكعبة».

قال عبدالله: أفلا أبكي وقد بقيت حتى رأيتكم تسترون بيوتكم كما تستر الكعبة.

وقد روى الخلال بإسناده عن ابن عباس وعلي بن الحسين، عن النبي ﷺ: أنه نهى أن تستر الجدر، وروت عائشة: أن النبي ﷺ لم يأمرنا فيما رُزِقنا أن نستر الجدر) انتهى.

الوجه الثامن: قوله: (وإنا لنجد فوق ذلك منهم من يعد قول المسلم: سيدنا محمد، بدعة لا تجوز، ويغلون في ذلك غلواً شديداً).

والجواب عن ذلك: أن نقول: هذا كذب من القول، فعلماء الدعوة يثبتون ما ثبت للنبي ﷺ من الصفات الكريمة، ومنها: أنهم يعتقدون أنه سيد ولد آدم، وأفضل الخلق على الإطلاق، لكنهم يمنعون الغلو في حقه ﷺ؛ عملاً بقوله ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**» ويمنعون الابتداع.

ومن ذلك: أن يقال: سيدنا في المواطن التي لم يرد

قول ذلك فيها؛ كالأذان، والإقامة، والتشهد في الصلاة، وكذا رفع الأصوات قبل الأذان، يقول: اللهم صَلِّ وسلم على سيدنا رسول الله، أو بعد أداء الصلوات، كما يفعله المبتدعة بأصوات جماعية، وهذا هو الذي أظنه يقصده في كلامه، حيث يراه يفعل عندهم فظنه مشروعاً.

وهذا هو الذي ينكره علماء الدعوة في المملكة العربية السعودية، وينكره غيرهم من أهل التحقيق والعمل بالسنة وترك البدعة في كل مكان؛ لأنه بدعة، وكل بدعة ضلالة وغلو في حقه ﷺ، والغلو ممنوع. أما قول: سيدنا رسول الله في غير مواطن البدعة، فعلماؤنا لا ينكرونه، بل يعتقدونه، ويقولون: هو سيدنا وإمامنا ﷺ.

الوجه التاسع: قوله: (وفي سبيل دعوتهم يغلظون في القول حتى إن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور).

والجواب عن ذلك: أن نقول: أولاً: هذا الكلام من جملة الاتهامات التي لا حقيقة لها، وهذه كتب علمائنا

ورسائلهم، والحمد لله ليس فيها تغليظ إلا فيما يشرع فيه التغليظ، وليس فيها تنفير، وإنما فيها الدعوة إلى الله بالبصيرة، والحكمة، والموعظة الحسنة، وكتبهم في ذلك مطبوعة ومتداولة ومنتشرة، وكل من اتصل بهم فإنه يثني عليهم، وقد كتب المنصفون عنهم الشيء الكثير - في تاريخهم الماضي والحاضر - من حسن السياسة، وصدق المعاملة، والوفاء بالعهود، والرفق بالمسلمين.

وأكبر شاهد على ذلك من يفد إلى مكة المشرفة للحج والعمرة كل عام، وما يشاهدونه من العناية بخدمة الحجيج، وبذل الجهود في توفير راحتهم، مما أطلق الألسنة والأقلام بالثناء عليهم وعلى حكومتهم، وكذلك من يفدون إلى المملكة للعمل فيها يشهد أكثرهم بذلك.

ثانياً: وأما قوله: (حتى أن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور)، فهو من أعظم الكذب، وخلاف الواقع. فإن الدعوة التي قاموا بها من عهد الشيخ محمد بن

عبدالوهاب رحمه الله إلى هذا العهد - هي الدعوة إلى الإسلام، وإخلاص التوحيد، والنهي عن الشرك والبدع والخرافات، وقد لاقت هذه الدعوة قبولاً في أرجاء العالم، وانتشرت انتشاراً واسعاً في كثير من الأقطار، وما هو على صعيد الواقع الآن أكبر شاهد، وأعظم دليل على ما ذكرنا.

ويتمثل ذلك فيما تبذله الحكومة السعودية، أدام الله بقاءها، وسدد خطاها، بتوجيه من علمائها، ورغبة من حكامها، بفتح الجامعات الإسلامية التي تخرج الأفواج الكثيرة من أبناء العالم الإسلامي على حسابها.

ويتمثل ذلك أيضاً في إرسال الدعاة إلى الله في مختلف أرجاء العالم، وفي توزيع الكتب المفيدة، وبذل المعونات السخية للمؤسسات الإسلامية، ومَدِّ يد العون للمعوزين في العالم الإسلامي، وإقامة المؤتمرات والندوات، وبناء المساجد والمراكز الإسلامية؛ لتبصير

المسلمين بدينهم، مما كان له أعظم الأثر، والقبول الحسن - والحمد لله - وهذا واقع مشاهد. وهو يبطل قول هذا الحاقد: (إن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور)

لكن كما قال الشاعر:

وما لي في الكذاب حيلة لي حيلة فيمن ينُم

فحيلتي فيه قليلة من كان يخلق ما يقول

الوجه العاشر: قوله: (وإنه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ، وفي رأي غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب).

والجواب عنه: أن نقول: هذا من جنس ما قبله من التهجم الكاذب الذي لا حقيقة له، فهذه كتب علمائنا ومناقشاتهم لخصومهم ليس فيها شيء مما ذكره، بل فيها ما يكذبه من بيان الحق وتشجيع أهله، ورد الباطل بالحجة والبرهان، ودعوة أهله إلى الرجوع إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، ولم يدَّعوا لأنفسهم العصمة من

الخطأ، ويرفضوا ما عند غيرهم من الصواب، كما وصمهم بذلك.

وهذا إمامهم وكبيرهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يقول في إحدى رسائله التي وجهها لخصومه[1]: (أرجو أني لا أرد الحق إذا أتاني، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي. حاشا رسول الله ﷺ، فإنه لا يقول إلا الحق) انتهى.

وكلهم والحمد لله على هذا المنهج الذي قاله الشيخ.

الوجه الحادي عشر: قوله: (بل إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة، والطواف حولها ـ قريباً من الوثنية).

والجواب عنه: أن نقول: كلامه هذا يدل على جهله

(١) [الدرر السنية] (١/ ٣٢)

بمعنى الوثنية. فلم يدر أنها تتمثل في تعظيم القبور بالبناء عليها، والطواف حولها، وطلب الحوائج من أصحابها، والاستغاثة بهم؛ فلذلك استغرب استنكار ذلك، واعتباره من الوثنية، وكأنه لم يقرأ ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من استنكار الاستشفاع بالموتى، واتخاذهم أولياء؛ ليقربوا إلى الله زلفى، ولم يقرأ نهي الرسول ﷺ عن البناء على القبور، واتخاذها مساجد، ولعن من فعل ذلك، وإذا لم تكن إقامة الأضرحة والطواف حولها وثنية فما هي الوثنية؟! لكن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) .

ألم يكن شرك قوم نوح متمثلاً في دعاء الأموات؟! ألم تكن اللات ضريحاً لرجل صالح، كان يَلُتُّ السويق للحاج، فلما مات عكفوا عند قبره، وطافوا حوله؟! ولو كان هذا الكلام صادراً عن عامي لا يعرف الحكم لهان الأمر؛ لأن العامي جاهل، وتأثيره على الناس محدود

لكن الذي يؤسفنا أن يكون صادراً عمن يدعي العلم، وقد صدرت عنه مؤلفات كثيرة.

فهذا قد يكون تأثيره على الناس، خصوصاً محدودي الثقافة شديداً؛ نظراً لكثرة مؤلفاته، وسمعته الواسعة، وإحسان الظن به، ولكن الحق سينتصر بإذن الله ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(١).

والعلم لا يقاس بكثرة الإصدارات، وإنما يقاس بمدى معرفة الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والعمل بذلك، وإلا فكيف يتصور من مسلم فضلاً من ينتسب إلى العلم أن يتفوه بأن الطواف بالأضرحة ليس من الوثنية، أليس الطواف عبادة، وصرف العبادة لغير الله وثنية وشرك، فالطائف بالأضرحة إن كان قصده التقرب إليها بذلك فلا شك أن هذا شرك أكبر؛ لأنه تقرب بالعبادة إلى غير الله؛ وإن كان قصده بالطواف حول الضريح التقرب

(١) سورة الرعد، الآية ١٧.

إلى الله وحده فهذه بدعة ووسيلة إلى الشرك؛ لأن الله لم يشرع الطواف إلا حول الكعبة المشرفة، ولا يطاف بغيرها على وجه الأرض.

هذا وإننا ندعو كل من بلغه شيء من تشويه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو قرأ شيئاً من الكتب التي تروج هذا التشويه أمثال كتب الشيخ محمد أبي زهرة - فعليه أن يتثبت، وأن يراجع كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكتب العلماء الذين جاءوا من بعده، وحملوا دعوته؛ ليرى فيها تكذيب تلك الشائعات، وقد قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾[1].

وكُتُب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكتب علماء الدعوة من بعده - ميسورة، والحمد لله، وهي توزع على أوسع نطاق، عن طريق رئاسة إدارة البحوث العلمية

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.

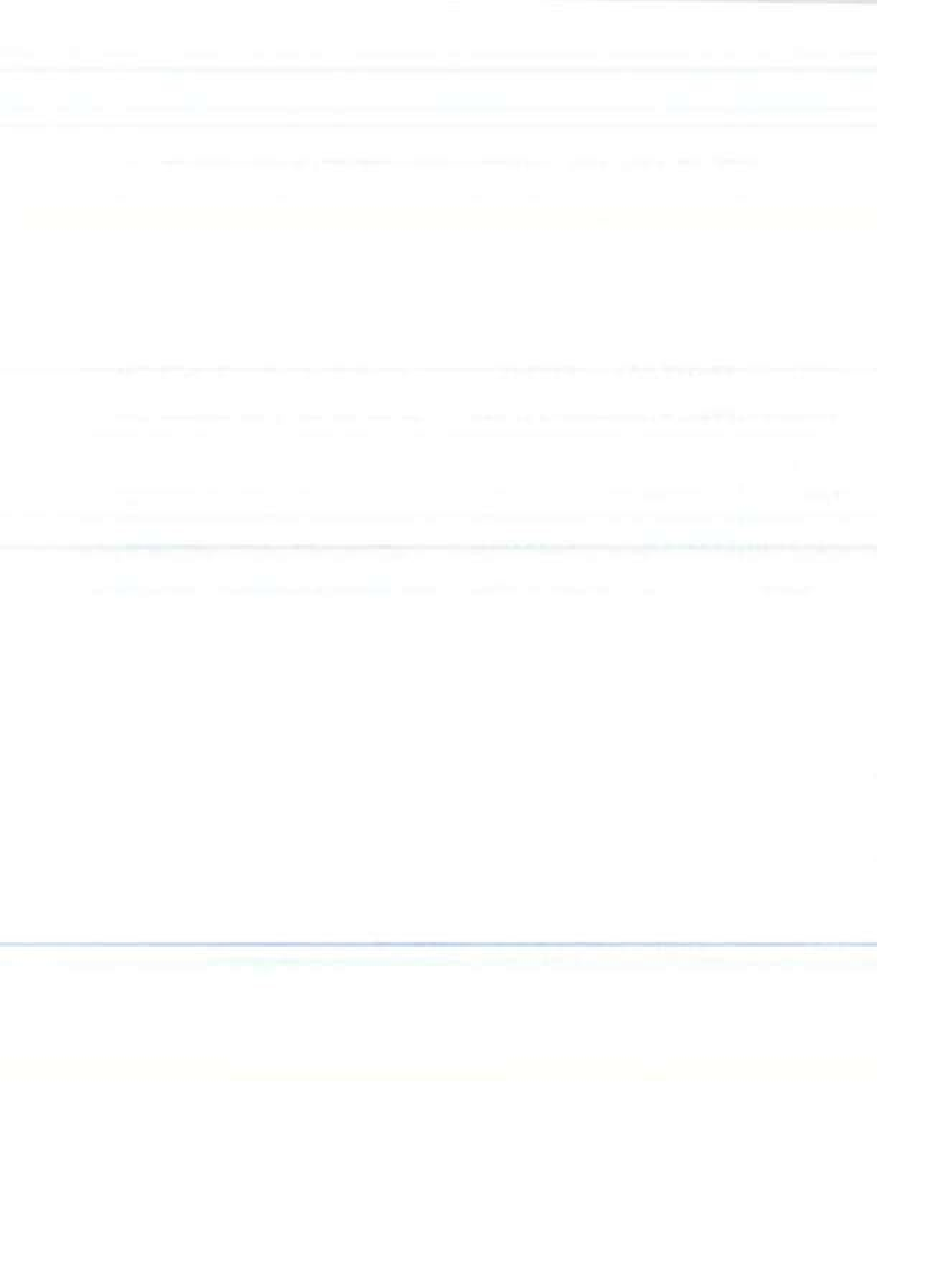
والإفتاء، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ومكاتبها في الداخل والخارج، وفي موسم الحج كل سنة، وهي لا تدعو إلى مذهب معين، أو نحلة محدثة، وإنما تدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومذهب أهل السنة والجماعة، ونبذ البدع والخرافات، والاقتداء برسول الله ﷺ وصحابته، وسلف الأمة والقرون المفضلة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.



الفهـــرس

الموضوع رقم الصفحة



هواتف أصحاب الفضيلة أعضاء الفتوى (الخارجية والداخلية)

م	الاســـم	الريـــاض		مكـة	الطائف
		مباشر	تحويلة	مباشر	مباشر
١	سماحة المفتي العام الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ	٤٥٨٢٧٥٧	٢٢١٠	٥٥٦٤١٥٧	٧٣٦٠٨١٧ ٧٣٢٢٦١١
٢	معالي الشيخ/ د. صالح بن فوزان الفوزان	٤٥٨٨٥٧٠	٢٨٠٠	٥٥٨١٤٢٨	٧٣٣٢٦٦٣
٣	معالي الشيخ/ د. أحمد بن علي سير المباركي	٢٧٢٦٧٩٨	٢٨٨٨	٥٥٤٣٢٥٢	٧٣٧٤٥٥٢
٤	معالي الشيخ/ د. عبدالله بن محمد المطلق	٤٥٨٥٤٤٣	٢٧٧٧	٥٥٨٢٤٥٥	٧٣٧٤٥٥١
٥	معالي الشيخ/ عبدالله بن محمد الخنين	٤٥١١٥٤١	٢٧٠٠	٥٥٧١٩٣٣	٧٣٣٤١٠٤
٦	معالي الشيخ/ محمد بن حسن آل الشيخ	٤٥٩٦٩٥٣	٢١٠٠	٥٥٦٤٠٥٩	٧٣٣٥٠٨٨
٧	معالي الشيخ/ د. عبدالكريم بن عبدالله الخضير	٤٥٩٥٩٥٦	٢٢٩٩		٧٣٧٤٥٥٣
٨	فضيلة الشيخ/ خلف بن محمد المطلق	٤٥٩٧٣٧٩	٢٩٢٩		
٩	فضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن التويجري	٤٥١٤٤٧٧	٢٧٢٧		
١٠	فضيلة الشيخ/ د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين	٤٥٨١٨٩١	٢٥٢٥		

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

السنترال ٤٥٩٥٥٥٥ – ٤٥٩٦٢٩٢ الرياض

السنترال ٥٥٠٧٧٧٧ مكة المكرمة

السنترال : ٧٣٢٠٩٠٠-٧٣٢٨٨٨٨ الطائف





خريطة المملكة العربية السعودية

صدرت هذه الخريطة من الهيئة العامة للمساحة بالمملكة العربية السعودية

الطبعة الثالثة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع بمكتبة الملك فهد الوطنية ٣٨٣٦ / ١٤٣٠ هـ ردمك : ٨٠١٥ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء

أ - الريـــاض

السنترال : ٤٥٩٥٥٥٥ - الرمز البريدي :١١١٣١

فاكس :٤٥٩٦٢٩٢-٤٥٩٦٩٤٣

موقع الرئاسة على الإنترنت http://www.alifta.com

ب - مكة المكرمة

السنترال : ٥٥٠٧٧٧٧

فاكـــس : ٥٥٨٨٧٨٧

الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء سنترال : ٥٥٨٨٠٠٧

جـ - الطائف

السنتـرال : ٧٣٢٠٩٠٠

فاكـــس : ٧٣٢٢٣٨٠ - ٧٣٦٩٤١٦

مطابع الحميضي ٠١/٢١٣٠١٣٠

ردمك ٩٧٨-٩٩٦٠-٠٠-١١-٤٩٤٠١